

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم اللغة والأدب العربي
ميدان اللغة و الأدب



جامعة عمار ثليجي - الأغواط
كلية الآداب واللغات

مذكرة ماستر

السُّلْمُ الْحِجَاجِي وَ قَوَائِنُ التَّخَاطُبِ فِي شِعْرِ النَّقَائِضِ
من خلال النقيضتين : إنَّ الذي سمك السماء، سُمُّ نَاعِجٍ

الشعبة: دراسات لغوية .
التخصص: لسانيات عربية.
إعداد الطالبة: ترويح خديجة.
إشراف الأستاذة(ة) /الدكتور(ة): عائشة عبيزة.

لجنة المناقشة

التوقيع	الصفة في اللجنة	الرتبة العلمية	الاسم واللقب
	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	سليمان بن علي
	مشرفا ومقررا	أستاذة التعليم العالي	عائشة عبيزة
	مناقشا	أستاذ التعليم العالي	إبراهيم ميهوي

السنة الجامعية: 1446/1447هـ / الموافق لـ 2024/2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

قال تعالى ، بعد بسم الرحمن الرحيم: "لئن

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" الآية 7 من سورة ابراهيم.

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت

ولك الحمد بعد الرضا، فنحمدك على النعم التي

أنعمت بها علينا ونشكرك إكنا من الشاكرين ،أما

بعد :

أتقدم بشكري المرفوق سمي عبارات التحية

والتقدير والإخلاص و أخص لذكر الدكتورة

الفاضلة عائشة عبيزة و كل من ساعدني في إنجاز

هذا البحث و لو بكلمة طيبة ، سواء من قريب

أوبعيد فكل سمة مشكور مأجور ذن

الإهداء

الحمد لله على فضله وإحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد
أنّ محمدا عبده ورسوله ، والدّاعي إلى رضوانه صلّى عليه وعلى
جميع أصحابه .

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى جميع أساتذة قسم اللّغة العربية دون
استثناء ، إلى الدكتورة المشرفة عائشة عبيزة ، وإلى الدكتورة خيرة غريبي
وكذلك الدكتور عبد العليم بوفاتح الذي بدوره وجهنا وساعد ، إلى
كلّ الزملاء والزميلات .

مقدمة

تعدُّ النقائض من أبرز أنواع الشعر العربي الذي تجسد من خلاله التنافس الشعري والتبادل الأدبي بين الشعراء في العصر الجاهلي، ويمثل هذا النوع من الشعر مرآة حيّة للثقافة والأدب في تلك الفترة. ومن أبرز السمات التي تتميز بها النقائض هي المحجاج والتخاطب بين الشعراء، حيث ينهض كل شاعر بتقديم حججه وبراهينه من خلال شعره ليثبت تفوقه على خصمه مُظهراً مهاراته في فنون البلاغة والتأثير، وفي هذا السياق، يعتبر "السلم الحجاجي" من المفاهيم الأساسية التي تبرز في شعر النقائض، إذ يشمل الحوار بين الشعراء على أسس من الجدل العقلاي والإقناع، مستندا إلى قوانين التخاطب التي تنظّم علاقة المتحدث والمستمع وتجعل من السّجال الشعري وسيلة للتعبير عن الهوية الفكرية والثقافية للشاعر.

إنّ دراسة السّلم الحجاجي وقوانين التخاطب في شعر النقائض لا تقتصر على فهم الآليات البلاغية فحسب، بل تشمل أيضا تحليل كيفية استخدام الشعراء لهذه الأدوات لتحقيق أهدافهم في التأثير والإقناع.

فهي من فنون الشعر العربي القديم، اختلف الباحثون في تحديد نشأته، لكنهم لم يختلفوا في أنه وصل إلى ذروة نموه وأوج ازدهاره في العصر الأموي لا سيما عند شعراء هذا العصر المبرزين الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل.

فبعض الباحثين والدارسين، حاول كل منهم أن يجلّي في جهودهم هذه أو أكثر من جوانب هذا الفن معترفون بما لهذا الفن من قيمة بين فنون الشعر العربي القديم، حتى إنّ أحدهم عدّه أهمّ تلك الفنون، وهذا رأي قد نلمح فيه بعض المبالغة، إلا أننا لا نملك، مع ذلك سوى أن نقرّ بكون هذا الفن واحدا من فنون الشعر العربي القديم المهمة والمميّزة وهذا الإقرار يستبطن في حدّ ذاته، إيما بحاجة هذا الفن إلى مزيد من الدرس والبحث، توخيا لمزيد من الفائدة. وشعر النقائض هو أحد أبرز أنواع الشعر العربي الذي ازدهر في العصر الأموي، ويُعدّ من أمتع وأغنى أشكال المسجالات الشعرية التي عرفها الأدب العربي والهجاء المتبادل بين الشعراء، بحيث يرد أحدهم على قصيدة خصمه بنقضها أي الرد عليها بنفس الوزن والقافية، لكن بمضامين تهدم ما جاء فيها وتُظهر تفوق القافية. ومن دوافع اختياري لهذا البحث الميول والرغبة الذاتية الملحّة في الغوص في مجال التخصص إضافة إلى إثراء رصيدي العلمي والمعرفي. والإطلاع على التخصصات الجديدة.

* أهمية السّلم الحجاجي في شعر النقائض:

يمثل السلم الحجاجي أحد الركائز الأساسية في البنية الخطابية لشعر النقائض، حيث يستثمر الشاعر جميع الوسائل البلاغية والمنطقية لإقناع المتلقي وتثبيت موقفه أو دحض مواقف خصومه. وتبرز أهمية هذا السلم في العناصر الآتية:

- تعزيز الموقف الحجاجي: يُمكن الشاعر من بناء تسلسل منطقي متدرّج من الادعاءات والبراهين، يعكس قدرته على الإقناع والتأثير.

- إبراز القدرة البلاغية: يتيح له استعراض مهاراته في صياغة الحجة، وتنويع أدوات التأثير بين العقل والعاطفة.

- التفوق الرمزي على الخصم: يُستخدم كأداة لإثبات التفوق القبلي أو الأخلاقي أو القيمي على الطرف الآخر، ضمن السياق التنافسي بين الشعراء.

- وظيفة جمالية: لا يقتصر على الجانب المنطقي، بل يحمل طابعًا جماليًا يظهر في ترتيب الحجج، وتدرجها، وتكثيفها في الجانب الإيقاعي واللغوي.

* أهداف البحث :

تعدّ قوانين التخاطب - كما طوّرها علماء التداوليات مثل بول غرايس وسورل - أدوات تحليلية مهمة في فهم البنية التفاعلية للنقائض. وتتلخص أهداف توظيف هذه القوانين في ما يلي:

- ضمان فاعلية التواصل الشعري: حيث يحرص الشاعر على احترام بعض القواعد مثل قانون الكمية والكيفية والملاءمة، لضمان وضوح الرسالة وسرعة وصولها.

- خرق القوانين بوصفه أداة سخرية: كثيرا ما يتم خرق قوانين التخاطب بشكلٍ واعٍ (كالمبالغة أو الكذب الشعري) لتحقيق غايات تهكمية أو هجائية.

- توجيه التأويل: تساعد هذه القوانين في تحديد المعنى الضمني (المراد إيصاله) من خلال الإيحاء أو التلميح، لا التصريح.

- تكريس الصراع الخطابي: إذ يعتمد الشاعر على توقعات المتلقي وتخريبها أحياناً لإثارة ذهنه أو لإثارة الخصم.

تداخل الحجاج والتخاطب في النقائض:

- إن التقاطع بين السلم الحجاجي وقوانين التخاطب يُنتج خطأً شعراً يتسم بـ:
الحيوية الجدلية: حيث ينشأ صراع بياني بين طرفين، يتبادلان المواقع بين مدافع و قد.
- الفعالية التداولية: من خلال اعتماد مبادئ المحادثة الفعلية ومحاکاتها في النص الشعري.
- توظيف السياق: اعتبار أن الحجاج لا ينفصل عن السياق الثقافي والقبلي والسياسي الذي أنتج شعر النقائض.

ومن خلال هذه الدراسة، مل أن تكشف عن الأساليب التي تميز بها شعر النقائض وكيف ساعدت في تشكيل هذا النوع من الشعر كأداة حية للحوار والتواصل في الأدب العربي القديم .
تعدّ الدراسات السابقة حول السلم الحجاجي وقوانين التخاطب في شعر النقائض من أبرز المجالات التي اهتم بها الباحثون في الأدب العربي، خاصة في إطار الدراسات التداولية والبلاغية الحديثة. فيما يلي عرض لأهم هذه الدراسات:

1- آليات الحجاج في نقائض عمر بن لجأ التيمي: دراسة تداولية

قدّمت الباحثة رضا رمضان أحمد دراسة تحليلية لتوظيف آليات الحجاج في نقائض الشاعر الأموي عمر بن لجأ التيمي. استخدمت الباحثة المنهج التداولي للكشف عن كيفية بناء الحجّة في النصوص الشعرية، مع التركيز على العلاقة الحوارية بين الشعارين. كما تم تحليل أدوات الادعاء والاعتراض، واستراتيجيات البناء والهدم في الخطاب الشعري .

2- حجاجية الاستعارة في شعر النقائض: جرير والفرزدق أنموذجا.

تناولت الباحثة فريدة بن عاشور في هذه الدراسة دور الاستعارة كأداة حجاجية في نقائض جرير والفرزدق. استعرضت الباحثة التصورات القديمة والحديثة حول الوظيفة الحجاجية للاستعارة، مع تطبيق ذلك على النصوص الشعرية لتوضيح كيفية استخدامها في الفخر والهجاء .

3- الحجاج اللغوي في شعر النقائض: نماذج من شعر جرير، إعداد الطالبين: علاء الدين حرير ومبروك عمامرة (جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي) .

ركزت هذه الدراسة على تحليل الآليات الحجاجية اللغوية في شعر جرير، مثل الروابط الحجاجية، التراكيب الشرطية، وأفعال الكلام. هدفت الدراسة إلى فهم كيفية تثير هذه الآليات في إقناع المتلقي وتوجيهه .

4-الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي في شعر النقائض:

استعرضت الباحثة نور الهدى حيدر غالي في هذه الدراسة دور الوسائل البلاغية التقليدية مثل الاستعارة والتشبيه في بناء الحجة في شعر النقائض .ركزت على كيفية تثير هذه الوسائل في المتلقي وتعزيز الخطاب الشعري .

5-الحجاج في شعر النقائض: دراسة تداولية:

قدّمت الباحثة شامة مكلي في هذه الرسالة دراسة تداولية لتحليل آليات الحجاج في نقائض جرير والفرزدق .استخدمت الباحثة المنهج التداولي للكشف عن كيفية بناء الحجة في النصوص الشعرية، مع التركيز على العلاقة الحوارية بين الشعارين .

6-بنية الجملة في شعر النقائض: دراسة تحويلية:

ركزت هذه الدراسة على تحليل بنية الجملة في شعر النقائض استخدام النظرية التوليدية التحويلية .تم تحليل كيفية تثير التحويلات النحوية في بناء المعنى الشعري وتوجيه الخطاب .

إشكالية البحث:

شعر النقائض من أبرز ألوان الشعر العربي في العصر الأموي، لما يتسم به من طابع جدلي، وصراع لغوي محتدم بين الشعراء، يتجاوز مجرد الهجاء إلى خطاب حجاجي متكامل، تتداخل فيه البلاغة مع المنطق، والتداول مع السياق. هذا الطابع الجدلي يدفع إلى التساؤل حول الأدوات التي اعتمدها الشعراء لبناء حجاجهم، وآليات التخاطب التي وظفوها في إدارة الحوار الشعري.

ومن هنا تبرز الإشكالية المركزية لهذا البحث، وهي:

كيف بني السلم الحجاجي في شعر النقائض؟ وما مدى التزام شعراء النقائض بقوانين التخاطب أو خرقهم لها لأغراض بلاغية وجدلية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة عدة تساؤلات فرعية، منها:

1. ما طبيعة العلاقة بين المرسل (الشاعر) والمتلقي (الخصم/الجمهور) في النقائض، وما أثرها في تشكيل الخطاب الحجاجي؟

2. كيف يوظف شعراء النقائض التدرج في الحجاج (السلم الحجاجي) لتقوية مواقفهم أو إضعاف مواقف الخصم؟

3. ما دور الخرق المتعمد لقوانين التخاطب (مثل قانون الكمية أو الملاءمة) في توليد السخرية أو المفارقة أو التضليل؟

4. إلى أي مدى يمكن اعتبار شعر النقائض خطأً تداوليًا حجاجيًا قائمًا على تبادل الأدوار بين الطرفين المتنازعين؟

وفي هذا البحث نبحث الخطة الآتية :

مقدمة

- تمهيد: عرض عام لشعر النقائض وأهمية هذا اللون الأدبي.
- أسباب اختيار الموضوع .
- أهمية الموضوع .
- أهداف البحث .

- الدراسات السابقة وحدود البحث.
- الإشكالية الرئيسية وتساؤلات البحث.
- المنهج المعتمد وأدوات التحليل.
- خطة البحث : مقدمة

المدخل : مفاهيم ومصطلحات .

- مفهوم السلم الحجاجي .
- مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح .
- مفهوم النقائض .

الفصل الأول : خصصناه ل: النظريات الحجاجية التداولية والمقام التخاطبي في شعر النقائض .

المبحث الأول : النظريات الحجاجية التداولية .

المطلب (1) : نظرية السلام الحجاجية.

المطلب (2) : قوانين السلم الحجاجي .

المطلب (3) : العوامل والروابط الحجاجية وضوابط التداول الحجاجي .

المبحث الثاني : المقام التخاطبي في النقائض واستراتيجيات الخطاب .

المطلب (1) : الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الأول والخطاب الثاني : (هوية المتكلم ، هوية

المخاطب) .

المطلب (2) : إستراتيجية البناء (أ-الاستراتيجية التضامنية / ب-الاستراتيجية التوجيهية)

المطلب: (3) -استراتيجية الهدم.

الفصل الثاني : خصصناه ل :آليات بناء السلم الحجاجي وتجليات العلاقة الإستدلالية في

شعرالنقائض

المبحث الأول : آليات بناء السلم الحجاجي

المطلب (1) : آليات الإدعاء .

المطلب (2) : آليات الاعتراض .

المطلب (3): الوسائل البلاغية ودورها في الحجاج.

إستنتاجات.

لتحقيق أهداف هذا البحث والإجابة عن إشكاليته المحورية، تم اعتماد المنهج التداولي البلاغي، وهو منهج يجمع بين الأدوات التداولية التي تُعنى بتحليل السياق التواصلي، ومبادئ البلاغة الحديثة التي تركز على البنية الحجاجية للخطاب.

أولاً: المنهج التداولي: يقوم على دراسة اللغة بوصفها أداة للتواصل الفعلي، ويُعنى لكشف عن الوظائف التخاطبية التي يؤديها الشاعر من خلال خطابه، أي أنّ المنهج التداولي يصف اللغة كفعل كلامي فهو وسيلة تواصل يراد به التأثير ، مع التركيز على العناصر الآتية:

- تحليل قوانين التخاطب ومدى احترام الشاعر أو خرقه لها.
- دراسة أفعال الكلام التي يستخدمها الشعراء مثل الادعاء، التحدي، التهديد، المدح، وغيرها.
- إبراز العلاقة بين المتكلم والمخاطب والسياق، وتحديد الأثر التداولي للخطاب الشعري.

ثانياً: المنهج البلاغي الحجاجي:

يعتمد هذا المنهج على تحليل النصوص الشعرية من حيث آليات بناء الحجة واستراتيجيات التأثير والإقناع، ويستند إلى نظريات الحجاج كما وضعها بيرلمان وتيتيكا وغيرهما. ويتضمن:

- تتبّع السلم الحجاجي (الانتقال من حجة أضعف إلى حجة أقوى)، وتحليل بنيته في القصيدة.
- تصنيف الحجج المستعملة (حجة السلطة، حجة المقارنة، حجة النفي .دراسة وسائل الإقناع : اللوغوس (المنطق)، الإيتوس (السمعة)، والباتوس (العاطفة).

ثالثاً: أدوات التحليل:

- النصوص الشعرية :اعتمد البحث على مجموعة مختارة من نقائض جرير والفرزدق والأخطل، لما تتميز به من حضور حجاجي وتداولي كثيف.

• تم استخدام أدوات تحليل نوعية مثل: التفكيك الحجاجي، تحليل أفعال الكلام، ومقارنة الخطات بين الشعراء.

مصادر ومراجع البحث:

المدونة التي بين أيدينا مدونة شعرية: وستنهج الدراسة المنهج التداولي والمنهج البلاغي في سبيل محاولتها البحث عن إجابات لأسئلتها المذكورة، منهجا تحليليا تداوليا، ينطلق من المادة المبحوثة وهي النقائض، وكيف يتم تطبيق السلم الحجاجي عليها وكشف قوانين التخاطب. المصادر القديمة متعلقة لتراث: لسان العرب لابن منظور. المراجع الحديثة والدراسات الأكاديمية: في تحليل الخطاب الشعري فاتح علاق، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

مدخل

مفهوم السلم الحجاجي:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور " والسلم واحد السلايم التي يُرتقى عليها ، وفي المحكم : السلم الدرجة والمرقاة ، يذكر ويؤنث ... قال الزجاج: سُمِّيَ السلم سلماً لأنه يُسَلِّمُكَ إلى حيث تريد .

السُّلْمُ : السبب إلى الشيء، وسمي بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى غيره كما يؤدي السلم الذي يرتقى عليه".¹

جاء في المعجم الوسيط" (السلم) : كل ما يصعد عليه إلى الأمكنة العالية . ما يتوصل به إلى شيء ما . (ج) سلام وسلايم"².

2- السلم الحجاجي في الاصطلاح :

يقدم المتكلم في أثناء عملية التخاطب مجموعة من الحجج التي تؤدي الى نتيجة واحدة، حيث إن هذه الحجج تتفاوت في قيمتها الحجاجية من حيث قوتها الدلالية والتأثيرية في التوجيه الخطابي للقصد ، الذي يروم المتكلم الوصول إليه.

إنّ عدم تساوي هذه الحجج في طاقتها التي تؤهلها للوصول الى نتيجة ، هو الذي أسس له ، أوزفالد ديكر في مؤلفه " السلام الحجاجية" حيث عرفها لها: "علاقة ترتيبية للحجج" فالمتكلم ينظم حججه خلال عملية التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة؛ منها مقتضيات السياق والمقام، ومرتبة المرسل، وطبيعة المرسل إليه.

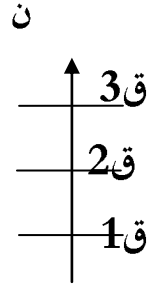
و لإمكان أن نعرف السلم الحجاجي كما يلي: "هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية" مستوفية شرطين أساسيين أحدهما : أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى، والآخر أنّ كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى حيث تتأكد مقولة الرتبة والقوة.

يمكننا تجسيد السلم وفق الشكل التالي: الشكل رقم (1)

¹- ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، 1998م ، ص 2083.

²- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية، 4، 2008م ، ص :446.

ترتيب الأقوال في السلم الحجاجي :



ترمز (ن) إلى النتيجة المقصودة من الحجاج أما (ق 1 ، ق 2 ، ق 3) فترمز إلى الأقوال الحجاجية المعتمدة أثناء عملية التخاطب التي تفضي إلى النتيجة (ن).

إنّ السلم الحجاجي " لا يحمل قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر ، وإنما يكتفي طروحة واحدة مؤيدة أو معارضة أو مثبتة أو مفنّدة وتنخرط القضايا الأخرى ضمن سلام حجاجية أخرى منتظمة في مسار واحد ، فتنشأ صياغة سلمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة سابقة أو لاحقة قوالها الموجهة أو يؤدي عرض جملة من السلام فاعلية في المستقبلين ، عوض تقديم سلم واحد مؤيد أو معارض " ، فالخطاب الحجاجي لا يعتمد على الصدق والكذب بل على قيم الإثبات والنفي لأنّ الخطاب الحجاجي غايته القوة والضعف أمام قضية معينة .

يعدّ الحجاج من أهمّ النظرات التداولية، ويرى بعضهم أنّه المرتكز الأساسي لها ، ويمكننا أن نتعرّف عليه عبر البحث في مفهومه في اللغة والإصطلاح .

مفهوم الحجاج :

1- لغة: عرّف الحجاج عدّة تعريفات نذكرها جاء في لسان العرب لابن منظور "يقال حاججته ، أحاججه حجاجاً حتى حججته : أي غلبته لحجج التي أدليت بها (...)" ، والحجّة : البرهان وقيل الحجّة مادفع به الخصم ، وقال الأزهري الحجّة وجه التي يكون بها الظفر عند الخوصومة وهو الرجل المحاجج وفي الحديث : فحج آدم موسى : أي غلبه الحجّة.¹

وإذا رجعنا إلى ابن فارس وجدّه (حصر مادة حجج) في أربعة معاني كبرى : " الحاء والجيم أصول أربعة ، فالأول القصد وكل قصد حج ... ثمّ اختص الاسم القصد إلى البيت الحرام ، والثاني الحجّة

¹ - أبوفضل الدين ابن منظور ، لسان العرب تح: عبدالسلام محمد هارون،(مادة حجج)، دار صادر ، ط1، بيروت، لبنان ، 1997م ، مج2، ص227.

وهي السنة والأصل الثالث الحجاج وهو العظم المستدير حول العين ، والأصل الرابع المحججة النكوص يقال حملوا علينا ثم حججوا ، المحجج : العاجز¹ .

2-اصطلاحا :

عن أبي الوليد الباجي يقول : " وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأ لأنه السبيل لمعرفة الاستدلال ، وتميزالحق من المحال ، ولولا تصحيح الموضوع في الجدل لما قامت حجة ويل اتضحت محجة ، ولا علم صحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم² .

أولا:تعريف النقائض :

لغة : جاء في معجم لسان العرب لابن منظور"النقض : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء،الصحاح : للنَّقْضُ نقض البناء والحبل والعهد . والنقض : اسم البناء للنَّقْضِ إذا هُدِمَ . و المناقضة في الشعر يَنْقُضُ الشاعر الآخر ما قاله الأول ، والنقيضة الاسم يجمع على النقائض "

اصطلاحا : لا بدّ من الإشارة أولا إلى أنّ النقائض فنّ أصيل ظهرت بوادره الأولى منذ العصر الجاهلي ، حيث ارتبط بفني لهجاء والحماسة ، لكنه أخذ في التطور والظهور بشكل لافت للانتباه في عصر بني أمية نظرا لتطور الحياة آنذاك ، واستعار ر العصبية القبلية بين الأحزاب السياسية والقبائل مما أدى إلى ظهور فن النقائض ، والنقيضة من المنظور الاصطلاحي عبارة عن " قصيدة يردّ بها شاعر على قصيدة لخصم له فينقض معانيها عليه :يَقْلُبُ فخر خصمه هجاءً وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو . وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم ورؤيها "

ثانيا : طبيعة المناقضة :

النقائض شعرا ، وقد تكون رجزا ، وتُسمّى المراجعة ، و تكون نثرا أيضا، وتتوافر فيها وحدة الموضوع، وتقابل المعاني ، وتتضمن كذلك الفخر والهجاء ثمّ الوعيد أيضا تجمع المناقضة بين فني الشعر والنثر معا كما كان بين خفاف بن عمير السلمي وعباس بن مرداس³ .

¹ - احمد ابن زكر ، ابن فارس ،مقاييس اللغة، تح : عبدالسلام محمد هارون، د/ط ، دار الفكر، دمشق ، سور ، 1997م ،مج2 ،ص30.

² - أبو الوليد الباجي ،المنهاج في ترتيب الحجاج ،تح: عبدالمجيد التركي ، دار المغرب الاسلامي ، ط3 ، الدار البيضاء ،المغرب ،ص8.

³ -الأستاذة مليكة حيمر ، المحاضرة السادسة، مقياس النص الأدبي القديم،تخصص :دراسات أدبية ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1.

ثالثا : مقومات النقائض:

تقوم النقائض على عدّة مقومات كانت سندا وامتكاً للشعراء منها ينهلون منها مادة نقيضتهم ، في الفخر أو الهجاء ، ومن تلك المقومات نجد :

3-1 الأنساب :

نقصد لنسب القرابة من جهة الآء ، والعناية لأنساب كانت منذ الجاهلية وهي الأساس في تكوين العصبية القبلية أو الجنسية احتفاظا لقرى ، وحفاظا على الوحدة .

أم العرب : نقصد م العرب وقائعها ، وسميت بذلك لأن الحروب كانت نهارا ، وكانت للعرب أم ما في الجاهلية وفي الإسلام وحتى العصرين الأموي والعباسي ، فيتخذ الشعراء منها مادة لنقائضهم

الدوافع الشخصية :

وهي الدوافع الخاصة التي ينطلق منها الشاعر في مناقضته للشعراء الآخرين ، وكانت في مجملها رغبات خاصة في التفوق والانتصار على الآخر .

الانتماء السياسي : يعمد الشعراء المتمون إلى حزب ما إلى الدفاع عنه وعن أنصاره من ب الموالاة لا غير .

رابعا: نشأة النقائض :

ظهرت البواكير الأولى لفنّ النقائض منذ العصر الجاهلي ، فكلما تضارب شعراء القبائل المتحاربة لسهام ، تضاربوا لشعر أيضا ، وكانوا يتهاجون ويناقضون بعضهم البعض ، فينتصر الشاعر لقومه ويردّ عليه شاعر القبيلة المعادية ، ولئن كانت في نشأتها الأولى لم خذ صورة النقائض ، وكانت عبارة عن منافسات كلامية بين شعراء القبائل ، ومجيء الإسلام تغيّرت كثيرا من الموازين ، فكانت النقائض الإسلامية امتدادا للنقائض الجاهلية فازدهرت في عصر النبوة المساجلات والمنافسات الكلامية التي كانت بين أنصار الرسول - صلى عليه وسلّم - ومشركي قريش ، حيث أدى هذا الصراع إلى نشوب النقائض ، فانبرى الشعراء يدافعون عن الرسول - صلى عليه وسلم - وعن الإسلام فصار الإسلام موضوعا للنقائض مكان العصبية القبلية في الجاهلية سابقا وفي الدولة الأموية لاحقا ، ثم تطورت في العصر الأموي فاتخذت شكل المناظرات ، وكان سوق المريد لبصرة مسرحا لها ، فيذهب

الشعراء هناك ، ويذهب الناس من حولهم ، ليروا من تكون له الغلبة على زميله ، فتكاملت أسسها على يد جرير ، والفرزدق ، والأخطل .¹

خامسا- دوافع ظهور فن النقااض :

هيئاً استعمار العصبية في البصرة وخراسان إلى استعمار الهجاء طوال العصر الأموي، كما هيئاً لنمو فنّ النقااض ، وقد أعدت لهذا النمو عوامل كثيرة ، منها :

5-1 دوافع سياسية: ترجع إلى تشجيع خلفاء بني أمية لهذا الفنّ بغية صرف الناس عن السياسة وأمور الحكم ، حيث كان خلفاء بني أمية يعمدون إلى وسائل لحفظ مُلكهم ، والإبقاء على سلطانهم ، فعمدوا إلى إرة العصبية ، وبعث الخصومات .

5-2 دوافع اجتماعية : نظرا لتطور الحياة آنذاك وظهر الحواضر والمدن الكبرى ، كان المجتمع العربي في البصرة في حاجة إلى ضرب من الملاهي يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة .

5-3 دوافع عقلية : تعود إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الجدل والحوار والمناظرة في التحل السياسية والعقيدية وفي الفقه وشؤون التشريع .

سادسا - موضوعات النقااض :

خاضت النقااض في موضوعات ، هي الهجاء، والفخر، والحماسة، فهي تعدّ فنو رئيسية لفن النقااض وإلى جانب ذلك تناول الشعراء أيضا الرّء ، والنسيب، والسياسة والمديح، وكانت هذه الفنون الفرعية من عوامل المناقضة وعناصرها. ومثال عن قيام النقيضة على فنّ الرّء قول جرير عندما ماتت خالدة بنت سعد من كليب أم ابنه حَزْرَة : (الكامل)

لَوْلَا الْحَيَاءَ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ	وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُرَارُ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَمَا تَمْتَعُ نَظْرَةٌ	فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمُحْفَارُ
نَعْمَ الْفَرِينُ وَكُنْتُ عَلِقَ مَضِنَّةً	وَارَى بِنَعْفِ بُلَيْتَةٍ لِأَحْجَارِ
عَمِرَتْ مُكْرَمَةَ الْمِسَاكِ وَفَارَقَتْ	مَا مَسَّهَا صَلْفٌ وَلَا لِقَاتَارُ

فردّ عليه الفرزدق يُفسد معانيه من نقيضة : (الكامل)

أَبْكَى الْإِلَهَ عَلَى بُلَيْتَةٍ مَنْ بَكَى	جَدَّ يَنْوُحُ عَلَى صَدَاهِ جِمَارُ ²
---	---

¹ - ينظر المرجع السابق

² - الأستاذة مليكة حيمر، المحاضرة السادسة

كَانَتْ مُنَافِقَةَ الْحَيَاةِ وَمَوْتِهَا حَزْبِيَّ عَلَانِيَةً عَلَيْكَ وَعَارٍ وَمَوْتَهُ

سابعاً- خصائص النقائص :

- الطول : تتسم النقيضة لطول، ذلك أنّ الشاعر يعمد فيها إلى المزاوجة بين فني الهجاء والفخر، فيفتخر بنفسه وبقومه وأنسابهم وأهمهم والدفاع عن الأعراض وشؤون القبيلة وفي المقابل يعمل على الحطّ من مستوى الخصم وقيبلته فيعيّره ويتصد سقطاته ، حقا أو طلا .

- الإقذاع والفحش في الهجاء :

يتعرّض المتناقضين إلى العيوب الخلقية كالفحش والبخل والغدر والزّ أكثر من تعرضهم للعيوب الخلقية ، ففيها من الإفحاش في الهجاء ماتشمئزّ منه النفوس وتنفّر منه وتستحي الألسن أن تذكره على نحو ما نجد في نقائص جرير والفرزدق ، قال الفرزدق في أمّ جرير:

أَزْرَى بِجَرِيكَ أَنْ أُمَّكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا اللَّئِيمَ مِنَ الْفُحُولِ قَتْفَحْلُ
قَبَحًا لَهَا مَلَقَرَةٌ فِي بَطْنِهَا مِنْهَا خَرَجْتَ وَكُنْتَ فِيهَا تُحْمَلُ

ويهاجم جرير الفرزدق ويقول في أخته جعتن :

وَأَفَاكَ غَدْرِكَ لَزِيرِ عَلِيٍّ مَنِيٍّ وَبَجْرُ جَعْتِنِكُمْ بَدَاتِ الْحَرْمَلِ
تِ الْفِرْزَدِقِ يَسْتَجِيرُ لِنَفْسِهِ وَعَجَانُ جَعْتِنِ كَالطَّرِيقِ الْمُجْمَلِ

توليد المعاني والصّور وميلها إلى السخرية والفكاهة : فالنقائص الأموية - كما رأينا - تطوّرت من الهجاء الجاهلي لتأخذ صورة جديدة مطبوعة لفكاهة والضحك لأنّ تلك غايتها .

- ظهور السمات الإسلامية: ذلك أنّ شعراء النقائص عاشوا في رحاب بيئة إسلامية فدخلت الألفاظ والمعاني الإسلامية في رحاب النقائص فخرّاً كانت أم هجاءً ، أو فيما لابسها من نسيب ورء . ومثال ذلك قول الفرزدق في نقيضته لجرير :

ضَرَبْتَ عَلِيَّكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَفَّضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلُ

- مقتبسة من قول تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءٍ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ الآية 41 سورة العنكبوت .¹

-المرجع السابق.¹

-الميل إلى الاستقصاء وحشد الأسم والحوادث : تعدّ هذه الخاصية من مقومات فنّ النقائض ، فهي تقوم لأساس على حشد الأسم والوقائع ، فتكون النقائض بذلك سجلا ريجيا لصفات القبائل وأسمها وحوادثها ورجالها المشهورين .

-استخدام أسلوب المقابلة والموازنة .¹

¹-المرجع السابق.

الفصل الأول

النظريات الحجاجية التداولية-المقام التخاطبي ونوعية المخاطب في النقائص

المبحث الأول : النظريات الحجاجية التداولية

المطلب (1) : نظرية السلالم الحجاجية

المطلب (2) : قوانين السلم الحجاجي

المطلب (3) : العوامل والروابط الحجاجية وضوابط التداول الحجاجي .

المبحث الثاني : المقام التخاطبي في النقائص واستراتيجيات الخطاب .

المطلب (1) : الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الأول والخطاب الثاني :

(هوية المتكلم ، هوية المخاطب) .

المطلب (2) : إستراتيجية البناء (أ-الاستراتيجية التضامنية / ب-الاستراتيجية

التوجيهية)

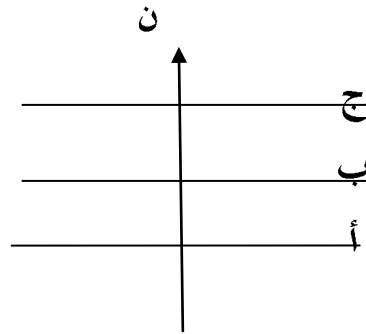
المطلب : (3) -استراتيجية الهدم.

• النظريات الحجاجية والتداولية :

1- نظرية السلام الحجاجية :

سّست هذه النظرية على الطّرح اللّساني للحجّة ، فالحجاج من هذه الوجهة مجموعة من العلاقات النصية في الخطاب والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون واصلة بين السّلام¹ وإذا كانت العلاقة الحجاجية متدرجة ، فهذا يقتضي تلازما بين القول أو الحجّة أو النتيجة المرتبة عليه ، ومن الممكن تبعا لمقتضيات السياق وخصوصية المقام أن يصرح لنتيجة التي أفضت إليها الحجّة ، يصرح افتبقي حينئذ ضمنية استنتاجية . فالسّلم الحجاجي ببساطته هو الترتيب بين الحجج التي تنتمي إلى فئة دلالية محددة ، والسلم الحجاجي مشروط لأمرين .

" الأول : أنّ كل حجة تلد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه لنسبة إلى النتيجة القول المراد الإقناع بها أو الوصول إليها ويمكن التمثيل لذلك لشكل التالي :



ف (ب) أقوى حجية من (أ) ، (ج) أقوى حجية لنسبة إلى (ن) من (أ) و (ب) .

الثاني : إذا كان قول (أ) يؤدي (ن) فهذا يستلزم القول / (ب) وكذلك (ج) الذي يعلو أن القول يؤدي ن إلى نتيجة ذاتها .

فإذا أخذ الأقوال الآتية :

- حصل عمرٌ على الليسانس .
- حصل عمر على الماجستير .
- حصل عمر على الدكتوراه .

¹ - صابر حباشة ، التداولية و الحجاج ومدخل النصوص،صفحات للطباعة والنشر، ط1 ، سور ، 2008م ، ص 21.

فهذه الجمل تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية ، وتنتمي إلى نفس السلم الحجاجي فهي كلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة عمر العلمية . ولكن القول الأخير " حصل عمر على الدكتوراه " هو الذي يرد في أعلى مراتب السلم الحجاجي ، وهو أقوى دليل على مقدرة عمر العلمية .

2- قوانين السلم الحجاجي : وللسلم الحجاجي قوانين أهمها¹ :

أ- * **قانون النفي** : إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

- زيدٌ مجتهدٌ ، لقد نجح في الامتحان .

- زيد ليس مجتهدًا ، إنه لم ينجح في الامتحان .

ب- * **قانون القلب** : إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على النتيجة المضادة مثل قولنا :

- حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه .

- لم يحصل زيدٌ على الدكتوراه بل لم يحصل على الماجستير .

ج- * **قانون الخفض** : إذا قلنا :

- الجوّ ليس ردًا .

فهذا المثال نحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس .

إذا لم يكن الجو ردًا فهو دافئ أو حار .

ومن صعوبة هذه الوقائع تكمن في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي .

العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية : فما دامت اللغة ذات وظيفة حجاجية ، فقد اشتملت على مؤشرات لغوية خاصة لحجاج هذا ما سنختصره فيما يلي :

أ- **العوامل الحجاجية** : هي مورفيمات لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة ، أو بين

مجموعة حجج ، ولكنها تقوم بحصر وتقييد إمكات حجاجية التي تكون لقول ما ، وتضم مقولة

العوامل أدوات أهمها : ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، ماإلا ... وجلّ أدوات القصر² .

¹ محمد عبد الباسط العيد ، في حجاج النص الشعري ، إفريقيا الشرق ، د/ط ، ردمك ، المغرب ، 2013م، ص24.

² - قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي ، ص36.

ب- الروابط الحجاجية: هي روابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر وتستند لكل قول دورا

محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة . وهناك أنماط عديدة من الروابط نذكر منها :

* الروابط المدرجة للحجج : (حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأنّ).

* الروابط الحجاجية المدرجة للنتائج : (إذن ، لهذا ، و لتالي).

* الروابط التي تدرج حججا قوية: (حتى،بل،لكن).

* روابط التعارض الحجاجي : (بل ، لكن ، مع ذلك).

* روابط التساوق الحجاجي : (حتى ، لا سيما).

فقولنا مثلا :

- جاء زيد .

- حتى زيد جاء .

نجد أنّ القولين يخدمان نتيجة واحدة ، إلا أنّ المثال الثاني يقدم معلومة جديدة المغزى منها أنّ (مجيء

زيد غير متوقع) فدور الرابط تمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة في المثال الأول

، فالحجتان وإن كانتا تخدمان نتيجة واحدة إلا أنّ درجة القوة الحجاجية متفاوتة بينهما. فهذه الأدوات

لها وظائف حجاجية ، كل أداة حسب وظيفتها الخاصة¹.

3- ضوابط التداول الحجاجي :

هناك عدد من الضوابط الحجاجية التي يفترض في المرسل أن يلتزم بها نذكر منها :

- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل الثوابت الدينية والثوابت المعرفية ، فليس كل شيء قابلا

للنقاش أو الحجاج ، مثلما جاء في رسائل سيد عمر رضي عنه ، فأغلب كلامه في رسائله إلى

الولاة مستندا على القرآن والحديث .

- أن تكون دلالة الألفاظ محددة ، والمرجع الذي يحيل إليه الخطاب محددًا ، لئلا ينشأ عن عدم

التحديد الدقيق مشكلة في ويل المصطلحات التي من قبيل :الديمقراطية ، الشفافية ، الضبابية مثلا .

- ألا يقع المرسل في التناقض بقوله أو بفعله ، كمن يدّعي أنه عضو في لجنة الدفاع عن حقوق

الإنسان ثم يستعمل في ادعائه حججا واهية ، أو ن يسيء الأدب مع المرسل إليه ، لأنّه بذلك

يناقض نفسه في اللحظة التي يتلفظ بها في خطابه.

¹-المرجع نفسه، ص39-40.

-موافقة الحجاج لما يقبله العقل ، فلا يمس الحجة قصور ، كي لا يبدوا الخطاب مزيفاً .
 -توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب ، مما يسوّغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها ، وإلاّ انقطع الحجاج بينهما ، وتوقفت عملية الفهم والإفهام .
 -أن خذ المرسل في اعتباره تكوين صورة عن المرسل إليه أقرب ماتكون إلى الواقع قدر الإمكان .
 -امتلاك المرسل لثقافة واسعة ، خصوصاً ما يتعلق بمجال الذي يدور ضمنه الحجاج ، مثل المجال الديني أو السياسيّ ، لأنّه بدون ذلك الرصيد المعرفي لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبني اعتراض معيّن ، فتعوزه الحيلة للدفاع عما يراه ، كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حججه¹ .
 وجميع هذه الشروط تتوفر في رسائل سيد عمر ، لا سيما رسائله القضائية فهي موجهة لمن أرسلها إليهم وللقضاة عامة .

المقصود هنا أن الشخص الذي يبني خطأً حجاجياً (يريد إقناع المتلقي برأيه أو موقفه) يجب أن يكون متمكناً معرفياً من على الموضوع الذي يتحدث فيه الخطاب في الخطاب الديني، على سبيل المثال يجب أن يعرف المرسل النصوص المقدسة، تفاسيرها، آراء العلماء، والسياق الفقهي أو العقائدي في المجال السياسي، يجب أن يحيط لوقائع التاريخية، المصالح الاقتصادية، النظرات السياسية، وتوجهات الرأي العام تستند إلى المرجعيات المقبولة لدى المتلقي . "كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حججه" .

أي أنه لا يكفي أن يكون مطلعاً، بل يجب أن يمتلك أيضاً مهارات خطابية ودهاء في الإقناع، وهو ما يُسمّى حيلة البلاغية أو الحجاجية فالحيلة هنا لا تعني الخداع، بل تشير إلى الذكاء في عرض الأفكار وتنظيمها واختيار الأدلة المناسبة والتدرج في الإقناع .

تتضمن الحيلة أموراً مثل :1

- اختيار التوقيت المناسب لطرح فكرة معينة 2 - استخدام الأسلوب اللغوي الأنسب (عاطفي، عقلاي، تمكمي)

3- تقديم الحجج بطريقة تُظهر قوة موقفه وضعف الطرف المقابل نجاح المرسل في إقناع المتلقي يتوقف على معرفته العميقة لمجال الذي يحاجّ فيه، وعلى ذكائه في صياغة الخطاب واختيار الأساليب والحجج فالثقافة وحدها لا تكفي، والحيلة دون معرفة . المناسبة

¹- ينظر : مرجع سابق ، عبد الهادي بنظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص465-468.

حقيقية قد تكشف عن ضعف الموقف، لكن اجتماع الأمرين يصنع خطأً قوياً ومقنعاً، الحجاج المقصود "الحجاج" هو الحجاج البلاغي أو الخطابي، أي ذلك النوع من الحجاج الذي يُستخدم في الخطابات الإقناعية لإثبات فكرة أو دحض رأي معين، سواء في سياق ديني أو سياسي أو اجتماعي... إلخ....، الحجاج ليس مجرد نقاش أو جدال عابر، بل هو نشاط لغوي منظم يُبنى على مقدمات وأدلة يهدف إلى التأثير في المتلقي وتغيير موقفه أو دعمه في موقف ما يعتمد على المنطق أحياناً، وعلى العاطفة أو المرجعيات المشتركة في أحيان أخرى.

أنواع الحجاج التي قد تدخل في المقصود بالمقولة :

أ- الحجاج الديني : كأن يستشهد المتكلم بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية لدعم رأيه أو لإقناع جمهور متدين.

ب- الحجاج السياسي : يستخدم المعطيات التاريخية أو الوطنية أو الواقعية لإقناع الناس برؤية سياسية معينة أو لدحض موقف سياسي منافس.

ج- الحجاج الاجتماعي أو الثقافي : مثل من يدافع عن قضية المرأة أو الهوية الثقافية مستخدماً نصوصاً، أمثلة تاريخية، إحصائيات، إلخ.

لماذا التركيز على هذا النوع من الحجاج؟ لأن هذا النوع من الحجاج لا يبنى فقط على منطق رياضي صارم (كما في البرهان العقلي بل يعتمد أيضاً على إقناع الجمهور بوسائل متنوعة: اللغة، الأسلوب، المرجعيات، التوقيت، وحتى العاطفة¹ امتلاك المرسل لثقافة واسعة... كما تعوزه الحيلة"

المقصود أن الحجاج هنا ليس أكاديمياً جافاً، بل هو حجاج موجه لجمهور، ويتطلب ثقافة ومعرفة بالسياق، إلى جانب براعة بلاغية في التأثير والإقناع.

هذا الفصل يحتوي على دراسة ظاهرة التواصل التي تشكل محور أية علاقة حوارية بين ذاتين أو أكثر، وذلك بالاعتماد على أسس الاتجاه التداولي المتشكل في أساسه من ثلاثة اتجاهات، كما يرى ذلك "فرنسيس جاك"، وتتلخص هذه الاتجاهات في ثلاث نظريات: تشكل الأساس المعرفي لهذا العلم وهي:

-ينظر المرجع السابق ص 468¹

1- نظرية الأفعال الكلامية.

2- نظرية التلفظ.

3- نظرية استراتيجيات الخطاب¹

وسنحاول من خلال هذه النظريات استخراج قوى الأفعال المنجزة من قبل المتخاطبين وفقا للسياق التخاطبي، وذلك من خلال نقيضتي جرير والفرزدق اعتبار الشعر يُبنى على الأغراض والمقاصد، و اعتبار ذلك فإن كل مقصد يستدعي أساليب لغوية خاصة أو استراتيجية خطابية محددة.

1- الوضعية التخاطبية ونوعية المخاطب :

يستند الفعل المناظري بين الشاعرين إلى سياقات وأوضاع حقيقية، لذلك لا يمكننا ويل أي قول من هذه الأقوال لحياذ عنها، فتبليغ معنى الكلام على مستوى العلاقة التواصلية مرتبط بدلالة الخطاب لا بدلالة الجملة، الذي هو محور الدراسات التداولية. لأنّ التبليغ هو نقل يزدوج فيه الإظهار والإضمار معا - كما أسلفنا القول - وهذا يُلزمنا بتتبع السياقات الخارج نصية التي ساعدت على إنتاج هذه الخطات.

لكن العملية التأويلية في نفس الوقت لا يمكنها أن تنطلق من العدم، بل على المؤول أن ينطلق من المنظومة اللغوية المبنية بطريقة منطقية تبعا للبنية النحوية، حيث تمنح هذه المنظومة المؤول بعض القرائن التي هي بمثابة مقدمات تساعده على اختيار بعض مفاهيمه الذهنية أو ترشيح بعض مما هو مخزون في محيطه المعرفي ستساعده في المرحلة التالية من التأويل. بمعنى أنه يستطيع حصر الظروف الخارجية المحيطة لنص من هوية المتخاطبين والظروف الزمانية والمكانية المحيطة بهما، وإن كان ذلك بشكل نسبي.

وقد اهتم بنفيسست في إطار البحث اللساني للمفوضية كعملية ذاتية تقابل الكلام أو الاستعمال الفردي للسان، وتعرّف لها جملة من العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية. فتتحول الجملة التصريحية إثر هذه العملية إلى ملفوظ أي إلى تضمين معنى آخر غير مصرحبه.

يفترض التواصل كحالة من حالات الملفوظية وجود متحدثو مخاطب وزمن التحدث ومكانه وهو ما يسمى بمرجعيات الملفوظية أو كما يسميها فان ديك المركز الإشاري بالكلمات " أ ، أنت هنا، الآن

¹-ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصرو التراث العربي ، ص54.

عبارة عن كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية وهذه العناصر هي: المتحدث، والمخاطب، ومكان وزمان الملفوظية.¹

ويرى ميشال ريفاتير من جهته، في دراسته للشعر أنه على محلل الخطاب أن ينطلق في تحليله من النص، "حيث يبدأ حل شفرة القصيدة لقراءة الأولى من بداية النص إلى نهايته ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها متبعا في ذلك المسيرة السياقية، ففي هذه القراءة الاستكشافية الأولى يتم تفسير أولي، لأن المعنى يتم فهمه من هذه القراءة"². وهو ما يعنى الاهتمام لنص كواصل بين المتكلم والمخاطب.

يتجسد النص في تشكيلاته اللغوية وفي مستواه (الصوتية والتركيبية والدلالية) للغة، ومن طبيعة اللغة أنها مجموعة من الدوال ذات مدلولات معينة تحيل على أشياء في العالم الخارجي، وأول ما تحيل عليه من خلال هذين الخطابين - ومن خلال أي خطاب - هوية المتكلم والمخاطب. حيث تُسجّل حضورهما الضمني والصريح فيهما، بل حضورهما في كل خطاب. حيث تتجلى صورة المتكلم في مقابلتها بصورة المخاطب وتتجلى على إثر ذلك العلاقة الحوارية بينهما.

أولا: الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الأول:

1- هوية المتكلم:

ترتبط الأقوال ارتباطا وثيقا بقائليها في الخطاب الشفهي كما في الخطاب الكتابي، بل قد يكون هذا الارتباط في الخطاب الشفهي أكثر منه في الخطاب الكتابي، لارتباط الأول ببعض المرجعيات التي تحيل إليها في العالم الواقعي في لحظة التلفظ من هذه المرجعيات الإشارات أو المبهمات فيبين الضمير أ والمتحدث -على سبيل المثال- في لحظة التلفظ لخطاب علاقة حقيقية، والضمير أنت لا يدل إلا على المخاطب.

المقصود لخطاب " ف (أ) له دلالة عامة وحيدة و بنة تكمن في أنها تدل على موجه الرسالة، ومتلقيها (أنت) ... لذا من الخطأ اعتبارهما بمثابة أشكال فارغة تستقبل دلالة مختلفة لدى استخدام إحداها³.

¹ -جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، د.ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 27.

² -ميشال أرفية وآخرون، السيميائية، أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم على الدين المناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 55.

³ -جان سيرفوني، الملفوظية، ص 28.

والضمير هو اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، مثل الضمير أ ، التاء الياء، ونحن، وأ (للمتكلم)، وأنت، وأنتِ، وأنتما وأنتن والكاف (للمخاطب). وهي وهو وهما، وهم، وهنّ، والهاء (للغائب) ¹. وهو قسمان: بارز ومستتر.

فالبارز هو الذي له صورة ظاهرة في التركيب، نطقا وكتابة نحو رأيتك في الحديقة: فكل من كلمة: أ ، والتاء، والكاف - ضمير رز. والمستتر ما يكون خفيا غير ظاهر في النطق والكتابة، مثل ساعد غيرك يساعدك. فالفاعل لكل من الفعلين ضمير مستتر تقديره في الأول: أنت وفي الثاني « هو» ².

للمتكلم ضميران يمكن أن يشير بهما إلى نفسه " أ للمتكلم وحده ونحن للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره . فالفرزدق أشار من خلال الضمائر أ ، و" التاء إلى نفسه وهي ضمائر منسوبة إلى المفرد المتكلم حيث أن ممارسة التلفظ هي التي تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة، ما يجعل حضور (الأ) يرد في كل خطاب حيث يقول:

وأ ابن حنظلة الأغرّ، وإنّي في آل ضبة للمعّم المخوّل ؟

و يقول أيضا:

وإذا دعوتُ بني فُقَيْمٍ جاءني
بجرّ له العددُ الذي لا يُعدّلُ

إذا كان الضمير (أ) هو الأصل في الوضع اللغوي، فإن الضميرين (نحن ،) .

هما فرعان منه، ويمكن للمتكلم استعمالهما حين يريد التضامن مع الآخر (انت)، أو مع الغير (هو غير المخاطب)، فالفرزدق حين استعمل الضمير () في قوله:

حُلّلُ الملوك لباسنا في أهلنا
والسابعاتِ إلى الوغى نتسرِبُ

أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنّا، إذا ما تجهل ³

لم يقصد به التضامن مع جرير، بل أشار من خلاله إلى أسرته وقبيلته التي ينتسب إليهما وقد عبّر عن ذلك بصيغ صريحة، حيث إن البطاقة الدلالية للمتكلم لم تتوقف عند حد التعيين الإشاري، بل هي تمتلئ قولاً إثر قول. فبعد أن أشار الفرزدق إلى نفسه بضمير المتكلم المفرد (أ) والجمع (نحن)، المعبر عنه لضمير المتصل، أضاف عدة تحديدات. تقرب هويته من المتلقي، لأن الضمير (أ) أو (نحن)

¹-ينظر: عباس حسن، النحو الوافي ، ط6، ج1، دار المعارف، القاهرة 1979، ص217.

²- م. ن. ص219-220.

³-الفرزدق ، شرح ديوان الفرزدق، ص 321.

من الناحية الدلالية فارغان أو صيغ فارغة *formes vide* تشير في العالم الواقعي إلى كل متلفظ، وليس لها وجود حقيقي إلا في الخطاب¹. ومن هذه التحديدات ما يلي:
- انتسابه إلى مجاشع وهشيل بن دارم، وهم من سادة بني تميم في الجاهلية، وهما أيضا من أجداده وذلك في قوله:

بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بَفَنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ مِنْ نَهْشَلِ

- ثم إلى قبيلة دارم، حيث تنتسب قبيلته مجاشع (مجاشع بن دارم)، وذلك في مثل قوله:

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا؟ أَمْ مِنْ إِلَى سَلْفِي طَهِيَّةً تَجْعَلُ؟

- ثم إنتسابه إلى حنظلة (وهو حنظلة بن مالك بن زيد) - من جهة - وإلى آل ضبة أخواله - من جهة أخرى - فهو بهذا ينتسب إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد، وإلى آل ضبة من مجاشع وذلك في مثل قوله:

وَأَبْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُ، وَإِنِّي فِي آلِ ضِبَّةٍ لِلْمَعْمِ الْمَخُولِ²

حيث أن ذكر هذه الأنساب لعلامة الخاصة (وهي ذكر الاسم)، لها بعد دلالي وتداولي في ظل السياق الذي وردت فيه. فلا يتعلق اسم العلم لأشخاص فقط، بل يمكن أن يطلق على أشياء خاصة، لها صلة بحياة الناس وأعمالهم، كأسماء البلاد والقبائل.... الخ، حيث خصص هذا الاسم لفرد خاص ليدل عليه ولا يشركه فيه غيره مثل: تميم، طي، دارم، هشيل... الخ.

2- هوية المخاطب:

لإكمال دائرة العملية التخاطبية لابد من وجود طرف ن مرسل إليه يتلقى هذا الخطاب وهو المخاطب، سواء أكان فردا أم جماعة له حضور عيني أو ذهني، لأنه يمارس بطريقة غير مباشرة في توجيه المرسل عند اختياره لأدواته اللغوية وصياغة خطابه.
فإذا كان المتكلم بمثابة ذات متلفظة قائمة بفعل التلفظ، فإنه بمجرد أن ينطق بكلامه يعلن عن نفسه كفاعل يتحدد في تموضعه مع المخاطب، لذلك فإن هوية المخاطب تتحدد من خلال المتكلم والخطاب معا. فكل خطاب يفترض متلقيا سواء أكان كائناً فيزيا (حقيقيا)، أو شخصا متخيلا.

¹ Voir: Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, I édition Gallimard, 1966, p251--

287.

² -الفرزدق ، شرح ديوان الفرزدق، ص321.

يوجد في الخطاب الأول أكثر من أداة لغوية حاول من خلالها المتكلم أن يحدد بها هوية المخاطب أهمها الإشارات الشخصية منها (كاف) الخطاب ذات الحضور القوي في الخطاب كمثل قول الفرزدق :

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ العنكبوتُ بنسجها وَقَضَى عَلَيْكَ به الكتابُ المنزلُ¹ .
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قد رَضِيتَ بملبئى فَأَصْبِرْ فما لك، عن أبيك، محوّل²

كما تدل عليه الضمائر المستترة، حيث تعد " في النحو العربي ضر من الإشارات التي تدرك الإحالة عليها من السياق³ . ففعل الأمر - على سبيل المثال - يستوجب وجود المتكلم والمخاطب في لحظة التلفظ به وهو أيضا " ينطوي على (أنت)، الذي يوجه إليها الخطاب⁴ . فمن صيغ الأمر الواردة في هذا الخطاب الصيغ التالية: فادفع، فاصبر فاستمع، فاسأل.

إذا كانت الإشارات تؤدي دور العلامات العامة، فإن تعيين المخاطب يخرج هذه العلامة من عموميتها إلى علامة خاصة، وهي العلامة التي تحيل على فرد واحد من أفراد العلامة العامة، فضمير المخاطب أنت، غير المحدد بشخص معين كقولنا إنسان يتحدد في هذا الخطاب سم العلم وهو جرير حيث يقول الفرزدق:

إِنَّ اسْتِرَاقَكَ جريرُ قصائدي مِثْلُ ادِّعَاءِ سِوَى أَيْبِكَ تَنْقُلُ⁵

فهنا يتحدد "قصد التوجه" الذي أشار إليه "طه عبد الرحمان". ومن جهته أيضا أشار فيليب بريتون " إلى أنه في الحجاج لا بد أن يكون المتلقي محمدا ومخصوصا وليس عالميا أو كونيا، فالفيلسوف هو الذي يتعامل مع المتلقي الكوني، لأنه يدرس أطروحات لا قضا⁶ . فالفرزدق خصّ بخطابه هذا جريرا أولا، لأنه يعتبره المفكك الأول للوحدات الخطاب أي القارئ النموذجي (بتعبير إيزر)، كما تستطيع أن نسند إلى المتكلم والمخاطب - انطلاقا من هذا القول - محمولا جديدا، فقول الفرزدق إن استراقك جرير قصائدي يستلزم ضمينا أن كليهما شاعر.

¹- الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318 .

²- م.ن، ص 325.

³- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83.

⁴- م.ن، ص.ن.

⁵- الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 324.

⁶- Voir , Philippe Breton , L'argumentation dans la communication , p17.

إذا كان الفرزدق قد حدد هويته - من خلال خطابه - بعدة أدوات لغوية، وخاصة منها ذكر نسبه الطويل الذي يمتد عبر سلسلة طويلة، فإن ذكره نسب مخاطبه جرير كان من خلال انتسابه إلى قبيلة كليب فقط، حيث قال:

مِنْ عَزَّهِمْ حَجَرَتْ كُليبُ بيتها زَرَّ، كَأَنَّهُمْ لَدِيهِ الْقُمَّلُ¹
 مَمَّنْ يَكُونُ بِنِي كَلِيبِ رَهْطُهُأَوْ مَن يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَّخِوُلُ²
 إِنْ أَرْتَفَعْتُ عَلَيْكَ كَلَّ ثَنِيَّةٌ و علوتُ فوقَ بني كليب من عَلٍ³

ثانيا :الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الثاني:

1-هوية المتكلم:

تتحدد هوية المتكلم "جرير" في الخطاب من خلال نفس الأدوات اللغوية التي حدد بها المتكلم الأول نفسه (الفرزدق)، ومنها على وجه الخصوص الإشارات التي تعتبر لصيقة ي خطاب منسوب إلى متكلم عام وموجه إلى مخاطب عام، ومن هذه الإشارات: التاء وذلك في مثل قوله:

لِمَا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسِمِيوَضَعَا الْبَعِيثُ، جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَحْطَلِ⁴
 الياء في مثل قوله:

إِنِّي بَيْتِي لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوْلِي ونفختُ كبرك في الزمان الأول⁵
 النون في مثل قوله:

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً ويفوق جاهلنا فعال الجُهَلِ⁶

لكن جريرا على خلاف الفرزدق لم يتجاوز في تحديداته لشخصه حد التعيين الإشاري إلى تحديد نسبه، سواء إلى والده أو إلى قبيلته ويعود ذلك إلى نسبة الضعيف.

¹-الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 324.

²-م.ن،ص318.

³-م.ن،ص326.

⁴-حذيفة بن بدر بن سلمة، جرير، الديوان، د، ط، دار بيروت، 1983، ص357.

⁵-جرير الديوان، ص358.

⁶-م.ن،ص358.

2- هوية المخاطب:

إنّ خطاب جرير هو بمثابة ردّ على خطاب الفرزدق، الذي عندما أكثر من الافتخار بنفسه وبقبيلته، بتوظيف الإشارات الدالة على المفرد أو الجمع، قام جرير، وهو في مقام هدم، لإكثار من الإشارات الدالة على المخاطب محولا فخر خصمه هجاء. ومن هذه الإشارات الضمير أنت للمخاطب في مثل قوله:

فُتِلَ الرُّبَيْرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبُوبَةٍ قَبِحَا لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ

ضمير الجمع أنتم، في مثل قوله:

أزرى بجلمكم الفياش، فأنتم مثل الفراش غشين ر المصطلي

التاء في قوله:

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرِكُمْ يَعَصَى بِهَا بَنُ الثُّيُونِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ ؟

كاف الخطاب في قوله:

وامدح سراة بني فقيم إنهم قتلوا أك و ره لم يقتل¹

اسم العلم القصد التوجه في مثل قوله:

كان الفرزدق إذ يعود بحاله مثل الذليل يعود تحت القرم²

إن القيمة الفنية التي كانت للشعر العربي في هذه الفترة، وفي هذه البيئة خلقت نماذج من المتلقين وإن كانوا غير معنيين مباشرة لغرض الأساسي للحدث الكلامي، لكن المتكلم يستحضرهم ذهنيا أثناء إنتاجه لخطابه ومن هؤلاء على سبيل المثال:

أ- القارئ المتأمل: والذي يشتمل على:

-النقاد: لأنهم أهل لنقد هذا الشعر وتقويمه، فهم يمتلكون المعرفة التي تفرض على المتخاطبين الإجابة في التعبير بما يلائم السياق، واختيار الحجج المقنعة.

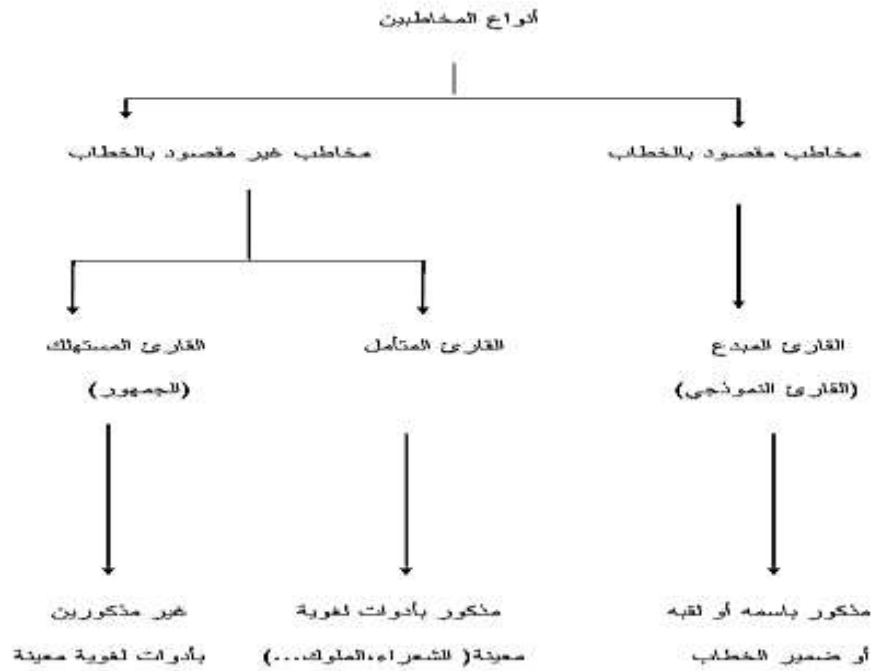
ب- الملوك والأمراء وهم أيضا - في بعض الأحيان - أهل لهذا النقد، غير أن سلطتهم لا تتوقف عند حد المعرفة، أي السلطة المعرفية، ولكن تتجاوزها إلى السلطة المعنوية (الحكم)، والمادية (المال في حالة التكسب).³

¹ - حذيفة بن بدر بن سلمة، جرير، الديوان، د، ط، دار بيروت، 1983، ص358.

² - المصدر نفسه، ص359.

³ - محمد محمد حسين، الهجاء و المهاجرون في صدر الاسلام، د، ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص153.

ج- القارئ المستهلك وهم عامة الناس لتخويفهم وفرض الاحترام عليهم، فهؤلاء الشعراء قد فشلوا في أن يحتلوا مكانتهم في الهيئة الاجتماعية عن طريق حب الناس لهم واحترامهم إهم لأشخاصهم فهم يحتلون هذه المكانة لإرهاب والتهديد.¹
يمكن التمثيل لأنواع المتلقين للخطابين لمخطط التالي:²



نستنتج من هذا المخطط أن العلاقة التخاطبية لها معينات مختلفة : لغوية وسياسية واجتماعية، وشخصية ... الخ لأنها نشأت في جو سياسي واجتماعي وثقافي خاص فالحكام الأمويون كانوا يشجعون على شعر النقائض. فقد كان بشر بن مروان (وهو والي الكوفة من قبل عبد الملك) " يجمع الشعراء ويوقع بينهم أو يؤلف بينهم على جرير الذي يمثل المعارضة القيسية"³. كما أن الشعر كان يتوافد إلى البصرة من خارجها فبعض القصائد قيلت في المربد لبصرة، ومنه تحولت إلى الأقطار العربية الأخرى يتلقفها الرواة، ويتدارسها النقاد، ويفتخر بها الأرهاط . كما أن الشعراء وغيرهم دخلوا

¹- محمد محمد حسين الهجاء والمحاؤون في صدر الإسلام، داخل دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص 153.

²- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، ص 45.

³- أحمد الشايب، ربح النقائض في الشعر العربي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1966، ص 187.

بين جرير والفرزدق، وكانت كثرتهم الساحقة مع الفرزدق على جرير فسقطوا ما عدا الأخطل، وكان هذا التجمع العوامل سياسية، وعصبية، وفنية، وشخصية.¹

وبما أن الحجاج إجمالاً، عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساساً إقناع المخاطب بقول ما لبناء على ما يُعلم ... أو يفترض أن المخاطب يسلم به من أقوال غيره²، فإن هدف المتناظرين يتجاوز إقناع المتلقي المقصود إلى إقناع المتلقين الآخرين، سواء كان ذلك قناعهم للغة أو لبناء الشكلي للخطاب، أو. لمعاني الواردة فيه، خاصة إذا كانت هذه الخطات وليدة العصبية القبلية.

1- استراتيجية البناء:

يعد الدخول في منافسة شعرية قبولا لمناظرة وشروطها. وبما أن الشعارين (جرير والفرزدق) قد قبلا لغرض الذي لأجله دخلا في هذه المناظرة، فهذا يعني توفر أدنى شروطها، وهي الشروط التمهيدية التي تجعل أداء الفعل اللغوي أداءً جحاً وتتلخص فيما يلي:³

- شروط مضمون القضية وهي تعبر عن شروط المضمون المعبر عنه.
- شروط الصدق وتحدد الحال الاعتقادي للمتكلم الذي يؤدي الفعل اللغوي.
- الشروط التمهيدية وتتعلق بطبيعة العلاقة بين المتخاطبين وبما يعرفه المتكلم عن المستمع (قدراته، اعتقاداته... الخ).

الشروط الجوهرية وهي الشروط التي تحدد الغرض التواصلي من الفعل الكلامي. إضافة إلى ذلك اتفاقهما على التعاون فيما بينهما على الحوار، وصيغة هذا المبدأ: فكل فضيلة من هذه الفضائل مرتبطة لأخرى وتوفرها في الكلام كاملة هو الذي يحقق للكلام نجاحه. فمما لا شك فيه أن المدقق في هذه القواعد سيكتشف أنها متطابقة مع القواعد الغرايسية، فهي جامعة لمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، مما يدل على أن العرب هم السباقون إلى اكتشاف هذه القوانين.

وبموجب هذا الاتفاق يلتزم كل متناظر بتوجيه خطابه إلى متلق معين، فتوفر شرط التوجه في الخطاب - كما رأينا ذلك سابقاً - يعني مطالبة المتكلم المخاطب الدخول معه في المحاور، وهي المرتبة الثانية

¹-م. ن، ص207.

²-طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 393.

³-ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص، 261.

من مراتب الحوارية عند طه عبد الرحمان، مما يدل على أن المتكلم ملزم، في إطار العملية التواصلية، ليس فقط بنقل الخبر وحده، وإنما يتجاوزها إلى قصود أخرى، وهي إبلاغ هذا الخبر إلى الغير للتأثير فيه، حيث يفترض أن تتحقق هذه البنية في كل قول، وتصاغ بهذا الشكل:

أفعل + ح ك + أن ح

حيث أن أفعل صيغة أمر (للمتكلم المفرد)، تي في معنى الطلب أو الأمر، أو السؤال (أو غيره من الأغراض الإنشائية).

ح حرف جر، ك: ضمير المخاطب، ج: الجملة المصدرية.

كقولنا: أثبت دعواك ← أطلب منك أن تثبت دعواك¹

فمما يروى عن أخبار هذين الشاعرين قول صاحب العمدة:

صنع الفرزدق شعرا يقول فيه:

فإني أ الموت الذي هو ذاهب بنفسك، فانظر كيف أنت محاولة

وحلف لطلاق أن جريرا لا يغلبه فيه، فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول: أ أبو حررة، حتى قال:

أ الدهر: يفنى الموت والدهر خالد فجنني بمثل الدهر شيئا يطاوله²

فالفرزدق في هذا النموذج الخطابي قصد من خلال كلامه إبلاغ الخبر الجرير ومطالبته إه بمغالته فيه في المعنى، تباع نفس الوزن والقافية. وعلى هذه الشاكلة يسري هذا النموذج الخطابي الذي نحن بصدد دراسته.

أطلب منك أن تغلبي في قولي هذا.

أو أطلب منك أن تي بمثل قولي هذا.

فالدلالة في هذه الحالة تنبني على قصود المتكلمين وإفادة قول القائل ينبني على أمور ثلاثة:

1- أن يدفع قوله إلى نهوض المقول له لجواب.

2- أن يتعرف المقول له على هذا القصد.

3- أن يكون انتهاض المقول له لجواب مستندا إلى تعرفه على قصد القائل.¹

¹ ينظر عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجابة علم الكلام، من 44

² ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدباية وتعهده، تقديم وتحقيق صلاح الدين الهواري، هدى جودة ما جا، دار مكتبة الهائل، بيروت، 1996، ص 331.

للفرزدي إذن شروط تمهيدية للمباشرة في إنتاج خطابه، غير أن عملية إنتاج الخطاب تستوجب إلى جانب هذه الشروط شروطاً أخرى يراها المنظرون أساساً في المناظرة منها توفير الجو الهادئ والظروف البيئية المناسبة للمناظر حتى يستوفي حججه، فهو يحتاج إلى عوامل نفسية لدرجة الأولى - تعينه على ذلك. وهو الجانب الذي أولاه المنظرون العرب الأهمية البالغة حيث " قالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرغبة، والرغبة، والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع² فكلها تعبر عن أحوال نفسية تدفع الشاعر إلى الإبداع. وعندما تستثار هذه العوامل النفسية والانفعالات الداخلية، مما ينتج عنه خلل في التوازن النفسي، نجد الشاعر يبحث لنفسه عن زمن ومكان خاصين يساعده على التعبير لتحويل هذه الانفعالات والإحساسات إلى لغة، حيث يلعب الفكر في هذه المرحلة دوراً أساسياً فيحاول صوغ خطابه وفق الحالة النفسية التي يريد التعبير عنها، أو المعتقدات التي يسعى إلى الدفاع عنها. ويميز ما يلائم الغرض والموضع مما لا يلائم، فيختار وفق ذلك بعض الاستراتيجيات الخطابية الملائمة لهذا الغرض أو ذاك. " فأول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجدل الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية حسن التأليف والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر حب ووضع وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف من ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان ليدخل إليه من به، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس و به تفاضلوا³. فلكل مقام تخاطبي آلياته التخاطبية.

والأصل في المناقضة " أن يتجه شاعر إلى آخر - أو عدة شعراء - هاجياً أو مفتخراً فيرد عليه خصمه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً بالبحر والروي التي اختارها الشاعر الأول"⁴. وهذا ما يجعلها مزدوجة الأغراض، فنجد فيها المدح والفخر - من جهة و الهجاء من جهة أخرى، وهذا ما يستدعي توظيف استراتيجيتين خطابيتين:

- كان على الخاسر في هذه المناظرة أن يطلق زوجته، وعندما كانت الغلبة لجرير طلق الفرزدق النوار.

¹- ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 45.

²- ابن رشيق العمدة، ص 210.

³- ابن رشيق العمدة، ص 330-331.

⁴- الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 31 " أحمد الشايب، ربح النقائض، ص 3.

2-الاستراتيجية التضامنية: وهي " الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجمد بها درجة علاقته المرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها زالة معالم الفروق بينهما¹. غير أن المرسل إليه في هذه الحالة لا يكمن في شخص جرير، وإنما يكمن في أقارب الفرزدق ومن يتساوون معه في المكانة الاجتماعية (خاصة الناس)، فهو لا يفتخر بنفسه وبنسبه إلا وأشرك هؤلاء في هذا الفخر. وهو ما أشر إليهم لمتلقين غير المباشرين، لأن ذكرهم لم ت إلا لإشعار جرير لإهانة والتحقير.

*الاستراتيجية التوجيهية: وهي الاستراتيجية التي يحاول من خلالها المرسل تجسيد سلطته على المرسل إليه بحكم التفاوت الاجتماعي بينهما ف " رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية"² تفوق رغبته في تهذيب الخطاب.

1-2 الاستراتيجية التضامنية :

تبدأ المناظرة إعلان الفرزدق عن مسألته و كيد قضيته، مخبراً مناظره جريراً عن رفعة مكانته وثبات عزه وكرمه، مسنداً الى تعالى صفة البناء، فهو حاكم الأرض والسماء، وما حكم به لا راد له، وما بناه لا قل له حيث يقول:

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

بيتاً بناه لنا المليك، وما بني حكّم السّماء، فإنه لا يُنقل³

وقد أكد هذا الخبر بمؤكد ابتداءً به خطابه وهو (إن) ليؤكد به خبره، رغم أن الذي ألقى عليه عالم به، لا حاجة له لتأكيدده. إلا أن هذا التأكيد جاء ليثبت به خبره لمن كان كرا له فالخبر في منظور علماء العرب تي لإفادة المخاطب بخير يجمله، غير أنه قد تي الأغراض أخرى حسب حال السامع الذي يلقى عليه، لذلك جعلوه ثلاثة أضرب: ابتدائياً: وهو الذي يلقى على من هو خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر و تي خالياً من أدوات التوكيد.

طلبياً: وهو الذي يلقى على من هو عالم به شك في حكمه متطلع إلى معرفة الحقيقة فهو بين بين، لذلك وجب أن تي مؤكداً دخال اللام أو إن لإزالة الشك نحو زيد عارف أو إن زيدا عارفاً.

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 257

² م . ص ، ن 32

³ الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318.

إنكار وهو الذي يلقي على من هو عالم به منكرًا لحكمه، فوجب كيده بمؤكد أو أكثر تبعًا لدرجة إنكاره.¹

وبعد كيد هذا الخبر بمؤكد لغوي، أضاف الفرزدق إلى ذلك كلمة تحمل من الدلالة ما يؤكد هذا الخبر وهو الدعائم، فالبيت الذي قصده الفرزدق من خلال خطابه لا يتعلق لبيت الذي نجده في الواقع، بل هو العز والشرف الذي هو لدارم. لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لهذا البيت المجازي مرجع خارجي استمد من خصائصه ما يمكن أن ينسب لغيره، لوجود علاقة تلازمية بينهما أو علاقة اقتضاء، فالبيت الذي دعائمه متينة وطويلة تبرز لنا عن صاحبه الذي يعيش فيه، والبيت المتين يقتضي أن تكون دعائمه متينة وطويلة، والبيت الذي تكون دعائمه طويلة يقتضي أن يكون ساكنه ذا عز وجاه و هذا ما يستلزم أن يكون ساكن البيت المتين له عز وجاه.

أشرك الفرزدق ذويه في هذه المكانية وكل من له عزٌّ ورزانة، من ملوك عظام وقبائل عريقة، قاصدا ذكرها بحسن تضامنا معها لرد كل شر وغبن قائلًا فيهم:

بَيْتًا زَرَارَةً مُحْتَبَ بَفَنَائِهِ
وَمَجَاشِعَ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلِ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ، وَإِذَا احْتَبَا
بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الْجِبَالُ الْمِثْلُ²

إن هذا البيت العريق هو مجمع عظماء الرجال كزرارة، ومجاشع، وأبي الفوارس ونهشل، يحتبون فيه، والحبأ على مثال نيا مهموز مقصور جليس الملك وخاصته والجمع أحياء (...). وحكي: هو من حبا الملك، أي من خاصته. فأنزل بذلك زرارة منزلة الملك وهو يجتمع بخاصته من الوزراء وغيرهم. ويقول الفرزدق في موضع آخر:

حلل الملوك لباسنا في أهلنا والسباغات إلى الوغى تتسربل³

استعمل الفرزدق ضمير الجمع () وكلمة (أهل) ليظهر انتسابه إلى هذه العائلة المالكة، التي تتخذ من لباس الملوك حلة لها بين أهلها، أما إذا نزلت إلى ساحة الحرب فإنها تتخذ من الدروع لباسا لها، فهو في حالة السلم يكون ملكا، أما إذا اشتدت الشدائد وعدت العداثد اتخذ لنفسه الدروع رداء لرد شر الأعداء. ويقارن في بيت آخر بين هاتين الحالتين واصفا أنفسهم لزرانة والوقار في السلم، أما إذا كانت الحرب روا وتحولوا إلى جن حيث يقول:

¹- ينظر: أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص 74.

²- الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318.

³- ابن منظور، لسان العرب د.ط المجلد الأول 1968، ص 53.

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل¹

لم يكتف الفرزدق لافتخار بوالده حنظلة بن مالك بن زيد وقبيلته، بل تجاوزهما إلى الافتخار بحواله، حيث سرد لنا مجموعة من الأخبار يدعم بها مسأله ويقوي بها حقائقه فهؤلاء الأعمام والأحوال بلغوا أسمى مراتب الشرف، فقد انتصروا في معارك كثيرة منها: يوم فلك الأميل، يوم بزاحة، يوم عيار، موقعة الجمل... الخ قائلاً فيهم:

وأ ابن حنظلة الأغر، وإنني	في آل ضبّة للمعمّ المخول
فرعانٍ قد بلغ السماء ذراهما	وإليهما من كل خوف يُعقل
فلئن فخرتُ بهم لمثل قديمهم	أعلو الحزونُ به ولا أتسهلُ
زيد الفوارس وابن زيدٍ عنهم	وأبو قبيصةَ والرئيس الأول
وهم على ابن مزقياء تنازلوا	والخيل بين عجاجتها القسطلُ
وهم الذين على الأميل تداركوا	نعمًا يُشلُّ إلى الرئيس هُوِغَكُلُ
وهُم الَّذِينَ عَلَوْا عمارة ضربةً	فوهاء فوق شؤونه لا تُوصَلُ
وهم، إذا اقتُسم الأكابر ردهم	وافٍ لضبّة، والركابُ تُشلُّ ²

ثم ينتقي منهم زيد بن حصين بن ضرار بن دريم زيد الفوارس والحصين بن زيد (ابن زيد) وأ قبيصة ومحلّم بن سويط (الرئيس الأول) ليتباهى بهم³ وبشجاعتهم حيث أحال عليهم، بعد تحديدهم لاسم، بضمير الجمع الغائب (هم) وقد أعانه على ذلك ملكته اللغوية ذاتها (من عادة العرب أنتستجد بغيرها من القبائل وقت الحاجة، خاصة إذا كانت د رها مهددة لخطر، وأحب القبائل من سارع لنجدتها عظماء القبائل ورؤساؤها. وهذا الفرزدق يتباهى لقبائل الأخرى التي كانت تلي طلب النجدة كلما كانت إليها حاجة حيث يقول:

¹ الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321 .

² الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321-322.

³ أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض حريز والفرزدق، شرح وتعليق: محمد التونجي، د.ط، المجلد الأول دار الجيل، بيروت، 2002، ص 300-301.

وإذا دَعَوْتُ بني فقيم جاعني مَجْرًا، له العَدْدُ الذي لا يُعَدُّ¹

وقد استعمل هنا فعل (دعوت) بدل (استنجدت) ، لما لهذين الفعلين من فرق دلالي فطلب النجدة أو الاستنجد لغير يعني ضعف المستنجد ووقوعه في الخطر والذل لكن المتكلم قال (دعوت) مما يقلل من الضعف حدته الدلالية ليدل على طلب العون مع كثير من الاحترام، مع قبول أو رفض المستنجد به لهذه الدعوة، إن لم يكن ذلك للضرورة الشعرية.

وهذا ما يدل على امتلاكه الملكة اللغوية، لأن العملية الإبداعية كما يرى ذلك رومان جاكسون تحكمها عمليتان : عملية النظم التي تتم على محور التنسيق أو التركيب الجملي أو النصي، وعملية الاختيار التي تسمح للمتكلم، على مستوى المحور العمودي، التعبير عن المعنى المراد التعبير عنه، والذي يراه المعنى الأنسب في ذلك السياق عن غيره من الألفاظ الأخرى.

قصد الفرزدق هنا تعظيم نفسه مع تعظيم غيره، فتعظيم نفسه تم من خلال قبول الدعوة من قبل المستنجد بهم، وذلك ما دلت عليه الجملة الشرطية (إذا دعوت) وجوابها (جاءني)، أما تعظيم بني فقيم فظاهر من خلال استعماله لكلمة (مَجْر) التي تعني جيشا كثيرا، وجملة (لا يعدل) التي تعني ليس له عدل من غيره أي لا يساويه غيره.

ويقول في موضع آخر:

وإذا الرَّئِغُ جاعني دُفَاعُهَا مَوْجًا، كَلَنَّهُمُ الجراد المرسل²

ويقصد لرئع ربيعة الكبرى وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة، الذي يلقب بريعة الجوع، وهو رهط علقمة بن عبدة الشاعر.

ربيعة الوسطى: وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد رهط المغيرة بن حبناء الشاعر، ورهط أبي بلال مرداس بن أدية وعروة بن أدية.

ربيعة الصغرى: وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة، وهو رهط الخنتق بن السجف³.

وصف هذه الرئع لقوتها وكثرة عددها لدفاع، وهو السيل حين يكثر ويمتد وجراد أيضا.

¹ شرح ديوان الفرزدق، ص 320.

² الفرزدق، نفس المرجع .

³ أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 297

إن المتصفح لخطاب الفرزدق يجد فيه الكثير من الأخبار لقليل من اللفظ فيكون هذا الخطاب بذلك مستوفيا قانونين من قوانين الخطاب التي أوردها الآمدي على لسان بزر جمهر، والتي تقابلها قاعد ن من قواعد غرايس وهما قاعد الجهة والكم التي مفادهما يلي:

قاعدة الكيف: *Qualité* أو ما يسمى جهة الخبر: والتي تنفرع عنها الشروط التالية:

-لتحترز من الخفاء في التعبير.

-لتحترز من الاشتباه في اللفظ.

-للتكلم بيجاز.

- لترتب كلامك.¹

وهي الخصائص الجوهرية للشعر، حيث إن هذه القاعدة واجبة " في شعر كل شاعر وذلك أن يحسن ليفه، ولا يزيد فيه شيئا قدر الحاجة، فصحة التأليف في الشعر، وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى، فكل من كان أصح ليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب ليفه.²

قاعدة كم الخبر: *Quantity* وصيغتها: لا تجعل إفادتك المخاطب أكثر من القدر المطلوب.³

قد يعترض معترض على هذه القاعدة الثانية ويقول إن الفرزدق قدم أخبارا كثيرة، قد يغنيه عن ذكرها كلها ذكر بعضها. ورد هذا الاعتراض يجعلنا تربط هذه القاعدة بعنصرين اثنين أولهما اعتبار مقصدية المتكلم من خلال خطابه، فهو يسعى، إضافة إلى إبداع نص شعري، إلى اجتلاب نفع عاجل وأجل (ودفع ضرر. وذلك بطلب المساعدة من الغير في حالة الخطر لرد كل شر، اعتبار الشاعر هو الناطق بلسان القبيلة. أما نيهما فيكمن في ربطه بقاعدة أخرى تدخل ضمن قوانين الخطاب وهي قاعدة العلاقة أو ما يسمى بعلاقة الخير بمقتضى الحال وصيغتها ليكن قولك مناسبا لمقامك . والتي عبر عنها القرطاجني لقوة المائزة و هي التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضوع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك، وما يصح مما لا يصح. فإذا علمنا أن الفرزدق في موقف فخر وأن عصره عصر عصبية، وأصل هذه الكلمة هو " (عصب) جمعها أعصاب وهي أطناب (حبال) المفاصل

¹ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 104.

² - بدوي طبانة، قضا النقد الأدبي، دخل المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة 1971، ص 102.

³ - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 104 .

ينظر: م . ن ، أبو الحسن حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 43.

التي تلائم بينها ... والتعصب من العصبية وهيان يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتأهب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين¹، فإن الأنسب إليه أن يذكر كل ما من شأنه أن يظهر به هذه الرفعة، ليزيد به :

وهب القصائد لي النَّوْبُعُ إِذْ مَضُوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرول
والفحل عَلَقَمَةُ الذي كانت له
خلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني قيس وهن قتله
ومهلل الشعراء ذاك الأول
والأغشيان كلاهما ومرقش
وأخو بني أسد عبيد إذ مضى
وأبو دواد قوله يتنحل
وابن أبي سلمى زَهَيْرٌ وَلَبْنُهُ
وابن الفُرَيْعَةَ حين جدَّ المِقْوَلُ²

حيث ذكر من الشعراء ما يؤكد شاعريته، لما للشعر من مكانة في العصر الذي عاش فيه الشاعر، حيث ذكر منهم من صنفهم ابن سلام الجمحي في طبقاته وهم:

الطبقة الأولى: امرؤ القيس و بعة بني ذبيان، وزهير بن أبي سلمى، والمرقش.
الطبقة الثانية: الحطيئة، وكعب بن زهير.

الطبقة الثالثة : بعة الجعدي

الطبقة الخامسة: المخبل، حيث يعتبر هؤلاء ممن ورث عنهم الشعر.

السابق في كلام العرب خبر وإنشاء، والكلام حدهما، ف " الخير هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً"³. وذلك انطلاقاً من تعريف بعضهم الكلام بقولهم " هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم لنفي أو الإثبات"⁴. أما الإنشاء فهو ما لا يحتمل الصدق والكذب، لأن مدلول لفظه ليس له وجود خارجي قبل التلفظ به كي يطابقه أو لا يطابقه، ينظر إليه لأسلوبه بغض النظر عما يستلزمه.

¹ -ابن منظور، لسان العرب، د. ط المجلد الأول، ص 606.

² الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 323

³ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 71.

⁴ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 70.

وقد تناولت العرب دراسة هذين الغرضين في إطار ما يعرف بـ "علم المعاني" الذي يعرفه السكاكي بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في إفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحتز لوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"¹. غير أن مسألة الصدق والكذب في الخبر تطرح إشكالا كبيرا في الدرس البلاغي العربي، بين من يرى أن الصدق يكون في مطابقة الكلام لاعتقادات المتكلم، حيث إنه إذا وافق الكلام معتقداته كان الخبر صادقا والعكس إن خالفها، وبين من يرى أن صدق الخبر مرتبط بمطابقة مضمون الخبر للواقع.

إذا أخذ بمقياس هذا أو ذاك فإن الأخبار التي أوردتها الفرزدق في خطابه أخبار صادقة، فهي مطابقة لاعتقاداته، فالدخول في المناظرة تستوجب من المناظر أن يكون معتقدا بكلامه، ومحاولا إقناع مناظره به. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الأخبار مطابقة للواقع، فالفرزدق لم يخبر مخاطبه إلا لأخبار الصادقة، وبما تم التواتر على نقله من أخبار العرب وأهمهم، حيث أحال على وقائع حقيقية مطابقة للواقع كإحاطته على بعض أم العرب، حيث تم اتجاه المطابقة في هذه الحالة من الواقع إلى اللغة، بتحويل وقائع خارجية إلى وقائع لغوية. لذلك قيل إن الشعر (ديوان العرب).

فتم الانتفاع من هذا الشعر في عاجله وآجله، أما عاجله فانتفع به صاحب القول وقبيلته، أما آجله فقد اشترك في منفعته متلقون آخرون كمؤرخي التاريخ العربي والنحويين.

لكن هل ينتهي الحكم على مضمون الخطاب عند نقطة اعتباره صدقا ونسبى طبيعة الشعر من حيث هو كلام كاذب؟ و تنفي بذلك قول أغلبية النقاد القائلين إن "أحسن الشعر أكذبه"؟ أو قول عز وجل في كتابه العزيز ، ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَلْنَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَلَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾² إن الكذب من طبيعة الشعر لكن أين يكمن الكذب في النقائض؟

2- الاستراتيجية التوجيهية :

تتمثل الاستراتيجية الثانية التي وظفها المتكلم لتبليغ قصده وتحقيق هدفه في الاستراتيجية التوجيهية، وذلك وفق ما يقتضيه غرض الهجاء، حيث إن " هناك سياقات لا تناسبها الخطات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التهذيب وعوامل التخلق، ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة منها ما يتعلق ولوية التوجيه على التأدب في خطات النصيح والتحذير وغيرها."³

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 70

² سورة الشعراء الآية 224-225-226

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 322

ويهدف الفرزدق من خلال هذه الاستراتيجية إلى إبقاء الفوارق الاجتماعية بينه وبين مخاطبه، ومن مسوغات استعمال هذه الاستراتيجية اختلاف المتناظرين من حيث المكانة الاجتماعية، فالفرزدق أعلى مرتبة اجتماعية من مناظره جرير. وهنا يظهر الخلل في شروط المناظرة، التي تستوجب أن يكون المتناظران متساويين مكانة ومعرفة.

إذا كان الفرزدق في سياق المدح يغالي في الإعلاء من شأن أسرته وقبيلته فإنه لمقابل، عندما كان في مقام هجاء، يغالي في الحط من قيمة جرير وقبيلته، مختزقا بذلك قاعدة الاستحسان عند ليتش التي صورتها:

قلل من مدح الذات وأكثر من ذمها.

ولقاعدة الموافقة التي صورتها .

قلل من الاختلاف بين الذات والغير وأكثر من توافقهما¹.

و للجانب التهذيبي من العلاقة التخاطبية ل طه عبد الرحمان"، أو ما أسماه (مبدأ التصديق الإسلامي) الذي يقتضي ممارسة الصدق على ثلاثة مستويات :

1- الصدق في الخبر : فهو أن يحفظ المتكلم لسانه عن إخبار المخاطب شيئا هي على خلاف ما هي عليه.

2- الصدق في العمل: فهو أن يصون سلوكه عن إشعار المخاطب وصاف هي على خلاف ما يتصف به.

3- مطابقة القول للعمل: فهو أن يحفظ لسانه وسلوكه عن إشعار المخاطب بوجود تفاوت بينهما² حيث يقول:

من عزهم جحرت كليب بيتها

ضربت عليك العنكبوت بنسجها، وقضى عليك به الكتاب المنزل³

حيث استعمل فعل (جحرت) بدل (دخلت) ليشير بذلك إلى أن بيت جرير شبيه لجحر لصغره وحقارته، مقارنة ببيت الطويل العريق. كما أنه شبهه لزرب " والزررب : موضع الغنم، والجمع فيها

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 325 .

²- طه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 251..

³- الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318.

زروب، وهو الزربية أيضا¹ ثم شبه هذا البيت أيضا لدءته ووهنه بيت العنكبوت معبرا عن ذلك لفعل (ضربت) الذي قد تي بمعنى أفسدت حيث يقول ابن منظور ضربت فيهم فلانة بعرق ذي أشب أي التباس أي أفسدت نسبهم بولادتها فيهم² كما تدل هذه الصيغة أيضا، على أن بيت العنكبوت يمنع جريرا من الحركة لتغيير مصيره وقدره.

كما نلاحظ فإن الفرزدق يخفي وراء هذه الأقوال دلالات أخرى خفية، هي الدلالات المقصودة لقول، سواء كان ذلك في الاستراتيجية التضامنية أو الاستراتيجية التوجيهية وهي التي عبر عنها سيرل لقوة الإنجازية المتضمنة في القول، حيث إن الفعل الإنجازي لديه يحمل قوتين:

قوة إنجازية حرفية أو ما يسمى بفعل القضية.

- قوة إنجازية متضمنة أو فعل القوة.

حيث يتم في هذه الحالة انتهاك القواعد التخاطبية المتفرعة عن مبدأ التعاون الغرايسي ويتعلق الأمر بقاعدة الكيف، مما يجعلنا نبحت عن الدلالة المقصودة لقول عن طريق عمليات استدلالية، أو ما يسمى لاستدلال التخاطبي، وقد يساعد في ذلك اعتماد بعض المعايير يراها سيرل ضرورية في تحديد القوة الإنجازية للأفعال. وهي معايير لا تعتمد على معاني الأفعال Les verbes كما تحدها المعاجم وإنما على الأفعال ذاتها Les actes وهذه المعايير هي³:

- الغرض من الفعل الإنجازي :

- درجة شدة الغرض الإنجازي.

- إتجاهات المطابقة بين اللغة والعالم.

- الافتراضات.

- شدة الصراحة.

- نمط الإنجاز.

- الحالة النفسية المعبر عنها.

الطريقة التي ترتبط بها مصلحة كل من المتكلم والمستمع والتي تحدد وضعية كل منهما.

- علاقة الفعل الإنجازي مع السياق الخطابي العام.

¹- ابن منظور، لسان العرب، د. ط المجلد الأول، ص 447.

²- ابن منظور، لسان العرب د. ط، المجلد الأول، ص 545.

³- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص 85-86.

- علاقة الفعل الإنجازي لمؤسسات غير اللغوية.

مع الإشارة إلى أن توفر هذه العناصر في فعل واحد توفر متفاوت، إلا أن تضافرها يوفر للفعل إنجازية عالية تجعله أشد تميزاً عن الفعل التعبيري. تنعكس إذا الحالة النفسية التي يريد الفرزدق التعبير عنها والسياق الخطابي العام للنقائض على التشكيل اللغوي للخطاب وبناء المعنى، وتبعاً للشروط التمهيديّة التي تتعلق بعلاقة الفرزدق بجزير تتحدد القوى الإنجازية للأفعال الكلامية. فالهجاء كقرينة يجعل للاستفهام الذي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل¹ غرض آخر يستدعيه المقام وهو إشعار المخاطب ستحالة ارتقائه بنسبه إلى مرتبة المتكلم. فالاستفهام يحمل في طياته معنى تعظيم الذات (

ذات المتكلم) (وتحقير الآخر ذات المخاطب) وذلك في مثل قول الفرزدق:

أين الذين بهم تسامي دارما؟ أم من إلى سلفي طهية تجعل²

بن المراغة أين خالك؟ إنني خالي حبيش ذو الفعال الأفضل³

وقد تناولت الدراسات البلاغية العربية هذا الغرض ضمن علم المعاني، في إطار الأغراض الأصلية والأغراض الفرعية، وقسمه علماء الأصول إلى قسمين: استفهام الإنكار واستفهام التقرير.

1- استفهام الإنكار : ومعناه، حسب الزركشي: أن ما بعد الأداة منفي، ويجيء لأغراض كتعريف المخاطب أن ذلك ممتنع عليه، وله نوعان... إيطالي وحقيقي الأول الإنكار الإبطالي يكون ما بعد أداة الاستفهام غير واقع... وفي الثاني الإنكار الحقيقي يكون ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم.

2- استفهام التقرير : ومضمونه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف مر قد استقر عندك . فهذا الاستفهام هو من النوع الأول لأن المتكلم يريد إشعار المخاطب ستحالة ارتقائه إلى مستواه الاجتماعي.

من أساليب التوجيه أيضا استعمال صيغة الأمر "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد لاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى. منه في الواقع أم لا " وقد يخرج عن معناه الأصلي للأسباب الواردة أعلاه. حيث يقول الفرزدق:⁴

¹-عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 88 .

²-الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 319.

³-مرجع نفسه، ص322.

⁴-مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

وإذا بكيت على أمانة فاستمع قولاً يعم ورة يتنخل

أسألني عن حبوتي ما لها؟ فاسأل إلى خيري وعمّا تسأل¹

حيث خرج الأمر في هذه الحالة إلى الإخبار. يقول أيضاً:

فادفع بكفك إن أردت بناء ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل²

والغرض البلاغي من هذا الأمر التعجيز، وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهاراً لعجزه وضعفه وعدم قدرته³ على تغيير مكانته وسط مجتمعه.

3- استراتيجية الهدم:

بعد أن استوفى الفرزدق خطابه في دور المناظر الثاني للرد على هذا الخطاب بخطاب ضدي، موافقاً للخطاب الأول من حية الوزن والقافية ومناقضاً له في المعنى فالغرض من خطاب الفرزدق، إضافة إلى تبليغ المعنى هو التأثير في المتلقي لدفعه للرد⁴ وهو ما يسميه أوستين الفعل التأثيري، وهو الفعل الذي ينتج عن الفعلين السابقين الفعل التعبيري، والفعل الإنشائي، سواء كان ذلك على مستوى المشاعر، أو على مستوى الفكر، أو على مستوى الفعل.

لكن المتلقي قبل أن ينتج نصه عليه أن يفكك النص الأول ويهدمه، ليحاول أن يبيّن على أنقاضه خطأ آخر بعالمقصدية قائله حيث إن عملية الرد تستوجب منه أن يمتلك كفاءة تداولية تضاهي أو تفوق الكفاءة التداولية للمتكلم " فإذا كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب، فإنها تتجلى الكفاءة التداولية للمرسل إليه عند ويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل وإدراك حججه. وتتم هذه العملية حسب "ولسون و سيربر" انطلاقاً من المنظومة اللسانية التي تسمح للمؤول، أولاً، استخراج الصيغة المنطقية للقول لاستعانة ملكة اللغوية والمنطقية.⁵

وتعتبر اللغة في هذه الحالة مجرد واجهة يصطدم بها القارئ لتحيله فيما بعد على معان أخرى تخفيها وراءها، لأن اللغة كما يعتبرها ابن جني ليست سوى " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.⁶

¹ -عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 75.

² -م.ن.ص 320.

³ -الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321.

⁴ -عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 80.

⁵ -عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 476

⁶ -أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، ج 2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت. ت.

وأثناء تحليل المنظومة اللسانية اتضح المحتوى القضوي للقول، حيث يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة وهي أيهما أحسن من الآخر من حياة:

-الشجاعة والقوة، حيث " للعرب مثل عليا هي متكوهم في المدح والهجاء « منها في الخلق الجمال والبسطة، ومنها في الخلق السخاء والشجاعة والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف والبر والعقل والأمانة...» فهذه مما يمدح به كما أن أضدادها تصبح

موضوعا للهجاء¹ يتعلق الأمر في هذه الحالة بما هو جماعي، أي بما تشترك فيه الجماعة (القبيلة).

-الملكة الشعرية، وهي خاصية فردية يمتلكها فرد واحد.

حيث إن هذا التحديد يسمح بتوليد الافتراضات الممكنة لتأويل القول استنادا إلى ما هو مخزن في الذاكرة، فينحصر بذلك المعنى بين ثلاثة إمكات:

-يكون معنى مطابقا :حيث يتساوى المعنى الافتراضي الظاهري والمعنى المقصود.

-يكون معنى تضمينيا : إذا اختلف المعنى الافتراضي الظاهري والمعنى المقصود.

-يكون التزاميا: إذا تلازم المعنيان دون أن يتطابقا .²

ولاختيار الافتراض الأقرب إلى المعنى المقصود لقول على جرير أن يلجأ إلى عمليات استدلالية منطقية لاعتماد على الخطات المألوفة بين الشعارين من جهة والسياق الخارجي والحالة الذهنية للقاتل من جهة أخرى فمما يروى عنهما ما نقله أبو الفرج الأصفهاني قائلا: " أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عبد العبدى عن عمارة بن عقيل عن جده قال:

وقف الفرزدق على أبي بمريد البصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلغ إلى قوله:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تُمَيْرٍ فلا كعباً بلغت ولا كِلا

أقبل الفرزدق على روايته فقال: غضه و فلا يُجيبه أبداً ولا يفلح بعدها، فلما بلغ إلى قوله:

بها برص بجانب إسكتيها

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقه، فقال أبي :

كعنفقة الفرزدق حين شا .

¹-إحسان عباس ريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص 123.

²-ينظر : طه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 101.

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخزه /و لقد علمت حين بدأ لبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طمعت ألا به فغطيت وجهي، فما أغنائي ذلك شيئاً.¹ حيث إن عملية ويل الأقوال حسب "سبرير" و"ولسن" تتم عن طريق عمليات ذهنية يقوم بها المخاطب ضمن مجال التداول إذ:

- للفرزدق رأي سلبي حول صفات جرير (شرط تمهيدي).

- للفرزدق الحق في توجيه تقويمه لصفات جرير، وفقاً لاتفاقهما على المناظرة (شرط تمهيدي).

- للفرزدق كفاءة لغوية وعلمية ومعرفية للحكم على صفات جرير (شرط تمهيدي).

ستحضر هذه الشروط عامة يتم تحديد الموقف القضوي للقائل لإتمام ما تم تبليغه نصاً وذلك لاعتماد على مبدأ المناسبة الذي يمثل أساس العمليات الاستدلالية في النظام المركزي للدماغ - كما أشار إلى ذلك فودور - ف "كل قول يولد لدى المخاطب انتظار المناسبة الخاصة به.² وتتفاعل عملية تحديد الشكل القضوي للقول ومحتواه القضوي بصورة سريعة، مما يمكن المتلقي تصور ما يمكن أن يقوله المتكلم، قال صاحب الأغاني " أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: أقبل راكب من اليمامة، فمر لفرزدق وهو جالس في المربد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة فقال: هل رأيت ابن المراغة؟ قال نعم. قال: فأني شيء أحدث بعدي؟ فأنشده:

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق:

فانظر بتوضح كر الأحداج

فأنشده الرجل:

هذا هوى شغف الفؤاد مبرح

فقال الفرزدق

وَنَوَى تَقَادَفُ عَيْرُ دَاتِ خِلَاجِ

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولع

|

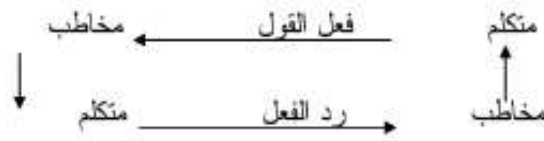
¹- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف مجموعة من الأدء، ط، المجلد الثامن، دار الثقافة، 33-34 بيروت.

²- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط، دار الطليعة، بيروت، 80، ص 2003.

فقال الرجل: هكذا و ، قال أسمعته من غيري؟ قال: لا. ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أو ما علمت أن شيطاننا واحدا ثم قال: أمدح بها الحجاج؟ قال نعم. قال: إه أراد¹. فمن خلال هذا الخبر يمكننا أن نتصور أن جريرا أيضا فهم قصد الفرزدق من خلال خطابه وذلك بسبب معرفتهما الجيدة ببعضهما البعض ومن ثمة ينحصر الموقف القضوي للقائل إذا فيما يلي:

-الرفع من قيمة الذات والحط من قيمة الغير، سواء تعلق الأمر لمتلقي المقصود لخطاب (جرير)، أو قرئه.

إذا كان الفرزدق قد نظم خطابه عن رغبة، فإن جريرا فعل ذلك عن غضب لما حققه خطاب الفرزدق من تفاعل و ثير نفسي عليه، وتم ذلك بعد تحديد الموقف الفضوي للقائل، مما لزم عليه الرد على هذا الخطاب، فالرد يدل على أن التأثير قد حدث وأن الخبر قد حل وفهم. فيتحول جرير بذلك من وظيفته كمخاطب إلى وظيفته كمتكلم، وفقا لقانون الفعل ورد الفعل، حسب ما يوضحه الشكل التالي:



قد تبلغ المحاوره الشعريه في النقائض المرتبه الثالثه من مراتب الحوارية عند طه عبد الرحمان² وهي مرتبه التحاور، حيث تستدعي هذه المرتبه أن تزدوج فيها الذات المتكلمة، إذ تقوم بدورين في الآن نفسه، ذات متكلمة وأخرى مستمعة. فقبل نقل الخبر إلى الغير تقوم الذات المتكلمة بتصور ردة فعل المخاطب تجاه كلامها فتصوغ على اثر ذلك خطابها، فهذه المرتبه تنبني على قصد نقل الخبر والتأثير في الغير مع تصور ردة فعل الآخر اتجاه القول، وهي أعلى مراتب التفاعل الحوارية²، حيث إن الأخبار التي أوردها في ما سبق - إن صححروايتها قد تدل على ذلك. ونضيف في هذا المقام هذا الخبر حكى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: خرج جرير والفرزدق مرتدلين على قبة إلى هشام بن عبد الملك الأموي، وهو يومئذ لرصافة فنزل جرير لقضاء حاجته فجعلت الناقة تتلفت فضرها الفرزدق وقال:

إلام تَلَفَّتَيْنِ وَأنت تحي وخير
الناس كلهم أمامي

¹-أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، المجلد الثامن، ص 31-32.

²-ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 58 وما بعدها.

متى ترد الرُصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال: الآن يجيئي جرير فأنشده البيتين فيقول:

تلفتُ، أهما تحت ابني قين إلى الكبيرين والفأس الكهام

متى تَرُدُ الرصافة تُخزَ فيها كخزبك في المواسم كل عام

قال، فجاء جرير والفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك أ فراس؟ فأنشده البيتين الأولين، فأنشده جرير البيتين الآخرين، فقال الفرزدق: و قلت هذا. فقال جرير: أما علمت أن شيطاننا واحد؟¹ فمغزى هذه القصة - حسب ما يراه أحمد الشايب - يفيد أمرين أولهما ما سماه وحدة الشيطان أو وحدة الروح الشعري من حيث فهمهما موقفيهما كل من الآخر، وكيف ينبغي أن يقال في كل حالة، لما مر على القول وعرفا كيف يكون نقض المعاني بينهما، وهذا نجده بين المتجادلين والمتخاصمين الآن إذ يعرف. كل ما يحتج به صاحبه عليه.² وهذا يدل أيضا على درجة التفاعل بين المتخاطبين والتفاعل تزوج في القصد، والتكلم، والإستماع.

أدى التأويل الجيد للخطاب الأول إلى بناء خطاب جديد يناقض دعوى الخطاب الأول حيث استعمل جرير استراتيجيتين خطائيتين في العملية التخاطبية، وهما الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية، وهما إستراتيجيتان افتراضهما المقام التواصل الذي كا فيه. فهو في مقام من يحاول أن يدافع عن نفسه انطلاقا مما هو موجه إليه من كلام ما استدعى مقابلة الاستراتيجية الأولى للمناظر الأول وهي (الاستراتيجية التضامنية) استراتيجية مناقضة لها وهي الاستراتيجية التوجيهية والإستراتيجية الثانية (الإستراتيجية التوجيهية) استراتيجية مناقضة أيضا وهي الاستراتيجية التوجيهية، مما يقلب الأدوار في هذه العملية - كما ألقنا إلى ذلك أعلاه يقول جرير :

أخزى الذي سمك السماء مُجاشِعًا وبنى بناءك في الحضيض الأسفل

بيتنا يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بفنائِه دِنَسًا مقاعدُه، حبيث المدخل³

فالذي من قدرته الرفع من قدرته أيضا الخزي و المخزي في اللغة المذل المحقور مر قد لزمه بحجة، وكذلك أخزيتته ألزمته حجة إذا أذلتته بها، والخزي: الهوان. وقد أخزاه أي أهانه¹. وحجة جرير

¹- أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، المجلد الأول، دار الثقافة، بيروت، د. ت ص 322.

²- أحمد الشايب، ربح النقائض، ص 202.

³- جرير، الديوان، ص 357.

في هذا ما تتصف به مجاشع، فهم مشهورون لحدادة، والحدادة عصرئذ هي مما يعير بها الإنسان لأنها تعد من الأعمال وقد كان العربي نف دائما من العمل لأنه يسمه لقعود عن الجلى والتلهي بكسب العيش دون بطولة.²

كما أن "القيانة(الحدادة) وسائر الصناعات إنما يقوم بها العبيد³ مما ينفي عن الفرزدق صفة الملوكية، ويبدو أن جريرا قد غلب الفرزدق في هذين البيتين، حيث يروى أن رجلا من بني نهمشل يدعى الخضر كان يوما ليمامة حثا عن غلامين له، فعندما كانت الأمطار أوى إلى بعض د ر بني حنيفة، وإذ بجارية جميلة تخرج إليه تسأله حاجته، فيجيبها أنه ضيف نزل عليهم، فسأته ممن الرجل؟ فأجابها: من بني حنظلة. ثم تواصل السؤال قائلة: من أيهم؟ فأجابها من بني نهمشل، فقالت: أنت إذا ممن فخر بهم الفرزدق في قوله:

ان الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعز وأطول (...). ففرح الرجل مما سمع من الجارية، فضحكت لذلك ثم قالت: إن ابن الخطفى(وقصدها جرير) قد هدم عليكم بيتكم هذا في قوله:

أخزى الذي رفع السماء مجاشعا وبني بناءك في الحضيض الأسفل⁴

من الألفاظ المتصلة لحدادة أيضا لفظ « القين » حيث أن جريرا " يتوسلها كالشثيمة وقد حملها على هذا الحمل لما يتقدمها ويلحق بها من معان مزرية، وأحيا نراه يعزلها وكأنها غدت بذاتها تنطوي على دلالة الهجاء.⁵ وكثيرا ما يذكر جرير في نقائضه أدوات الحدادة كالعلاة، والقدوم، والكير، والكلبتين، والحمم، والمرجل... الخ حيث يقول في هذا النموذج:

إني بني لي في المكارم أولي ونفخت كيرك في الزمان الأول

لهي أ ك عن المكارم والعلی لي الكنائف وارتفاع المرجل⁶

إن الحججة التي أتى بها جرير يقينية مما أكسب هذا الخبر صدقا سواء تعلق الأمر بصدق اعتقاده به أو مطابقته للواقع، مما سمح له لتمادي في استعمال الاستراتيجية التوجيهية ضد مناظره والتي تتجلى من

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد الرابع عشر، 1990، ص 226.

² - إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د. ت ص 321.

³ - عمر فروخ، ریح الأدب العربي القديم، ص 326 و ما بعدها.

⁴ - ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني المجلد الثامن، ص 43-44.

⁵ - جرير، الديوان، ص 357.

⁶ - م.ن.ص 360.

* واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن جية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

خلال بعض الآليات اللغوية التي تعتبر عماد الخطاب، وأول هذه الآليات هو الاستعمال المتكرر لاسم مخاطبه، حيث تكررت لفظة الفرزدق في خطاب جرير بكثرة؛ فبإجراء عملية إحصائية نجد أنها تكررت إحدى عشرة مرة في مجموع اثنين وستين بيتا، في حين نجد لفظة جرير تكررت في خطاب الفرزدق خمس مرات فقط مع العلم أن مجموع أبيات قصيدة الفرزدق تبلغ مائة وأربعة أبيات، مما يجعلنا نرد هذا الاستعمال لا إلى تجسيد الاستراتيجية التضامنية داة لغوية وهي استعمال اللقب بدل الاسم* وإنما يعود إلى الاستراتيجية التوجيهية، حيث أن لفظة "الفرزدق" تحمل دلالة أخرى، فهي لقب غلب على همام بن غالب " وتفسيره : الرغبة الضخم الذي يجفقه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف، وشبه وجهه بذلك، لأنه غليظا جهما¹ . فتأويل استعمال هذه اللفظة هو تعزيز للاستراتيجية التوجيهية.

ومن الآليات الأخرى التي تعزز هذه الاستراتيجية استعمال جرير لبعض الأفعال اللغوية التي يمكن أن تصنف ضمن الأفعال المقصودة لقول، وهي أفعال يمكن أن تهدد الوجه الجالب للمرسل إليه حيث قام كل من براون وليفنس بتصنيف الأفعال اللغوية إلى أفعال لغوية مهددة للوجه السليبي وأخرى مهددة للوجه الإيجابي للمتخاطبين، وذلك لاعتماد على مبدأ التواجه وهو مقابلة الوجه للوجه، من بين هذه الأفعال التقييمات السلبية لبعض أفعال المرسل إليه كالمعارضة والسخرية إذ يعبر المرسل بهذا عن عدم حبه، أو عن عدم احترامه لبعض رغبات المرسل إليه، أو أفعاله أو خصاله الشخصية، أو قيمه² . حيث يصفه الخبث في مثل قول جرير:

وَلَدَتْ فُقَيْرَةً قَدْ عَلِمْتُمْ حَيْثُ³ بعد المشيب وبظرها كالمنجل

كما وصفه لحقارة في قوله:

لَبُئِيَّ شَعْرَةَ، لَنْ تَسُدَّ طَرِيقَنَا لأعميين ولا فقيرة فَازْحَلِ⁴

حيث أن عبارة (أبني شعرة) تقال للرجل إذا احتقر⁵ كما نجد أيضا، في هذا البيت فعلا لغو يهدد الوجه الدافع للمرسل إليه وهو فعل الأمر (فازحل) غرضه البلاغي التهديد.

¹ - أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط5، المجلد الحادي والعشرون، دار الثقافة 299 بيروت

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 104.

³ - أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 358.

⁴ - أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير و والفرزدق، ص 348.

⁵ - ينظر: م.ن.ص 348.

من الأفعال التي تهدد الوجه الجالب للمرسل إليه أيضا " الأفعال التي تعبر عن عدم اكتراث المرسل بوجه المرسل إليه الجالب¹ ومن أمثلة ذلك تباهي المرسل بما يسره هو أمام المرسل إليه حيث يقول:
أعددت للشعراء سما قعا فسقيت آخريهم بكأس الأول²

وذلك ردا على افتخار الفرزدق بملكته الشعرية و لشعراء الذين ورث عنهم الشعر بيت شعر واحد جامع مانع هجا به كل الشعراء، سواء منهم المذكورون في بيت الفرزدق أو غير المذكورين. فكلية (الشعراء) كلمة مبهمة لا يقتصر مدلولها على فرد بعينه بل تحيل على جماعة من الأفراد يشتركون في هذه الحقيقة وهي (قول الشعر). وقد يكون هذا التعميم مناسبا لهذا المقام حيث يفتح مجالا واسعا للتأويلات فيحاول المتكلم بذلك التملص من المعنى، فيرفع عن نفسه مسؤولية قوله في حال التصريح. كيف لا يفتخر جرير بشعره وهو الشاعر الذي اجتمع حوله ثمانون شاعرا وتغلب عليهم جميعا بهجائه. زد على ذلك أنه شاعر ما عرف أنه سرق يوما بيتا شعر ، بعكس الفرزدق الذي عُرف عنه سرقة لشعر غيره يقول الأصفهاني " أخبر ابن دريد قال : أخبر الرشي قال:

كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء، فمر يوما لشمردل وهو ينشد قصيدته، حتى بلغ إلى قوله:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الغلاصم

قال: و لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، قال: خذه على كره مني ، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها:

نخبزوراء المدينة قتي حنين عجول تتبع البوء رايم

قال: وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يجب فيه القطع، يعني سرقة الشعر³.

يُدفع المرء أحيا إلى الكذب وارتكاب الخطأ، حتى ولو كان عفيفا نقيًا، ويحدث ذلك إن أساء إليه الغير، ووجب أن يرد عليه لمثل، وإن كان عز وجل قد نهي عن ذلك في قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى ..⁴ . فجرير رغم ما قيل عن عفته و تدينه مقارنة لفرزدق الخارج عن العرف والدين، إلا أنه في نقائضه بدا عكس ذلك. ومرد ذلك يعود إلى مبدأ النقص في المناظرة، حيث يفرض عليه أن يكون في مقام خاص يحتم عليه نقض كل معاني خصمه، وأن يجاريه فيها حتى ولو خرج هذا الخصم

¹ -عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 104.

² -جرير الديوان، ص 357

³ أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ص 351.

⁴ سورة الأنعام ، الآية 164

عن المبادئ الأخلاقية. فإذا كان الفرزدق قد أساء إلى شرف والده جرير وعيّر به واتهمها لزي
وإتيان الأثن في قوله:

يَيْكِي عَلَى دَمِنِ الدَّرِّ وَأُمِّهِ تَعْلُو عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتَسْفُلُ
كَسَرْتُ تَبَيَّتَكَ الْأُنْ فَشَاهِدُ مِنْهَا بِفِيكَ مُبَيَّنُّ مُسْتَقْبَلُ
رَمَحْتُكَ حِينَ عَجَلْتَ قَبْلَ وَدَاقَهَا لَكِنْ أَبُوكَ وَدَاقَهَا لَا يَعْجَلُ
جَاؤُوا بِحِقَّةٍ مَفْرَمِينَ عَجَانُهَا يَجِدُونَ الْأُنْ بِهَا أَجِيرَ مَرَحَلٍ
وَقَفْتُ لِتَرْجُزِي فَقُلْتُ لَهَا: اِبْرَكِي حَقُّ أَنْتِ وَمَا جَمَعْتَ الْأَسْفَلَ
وَكَشَفْتُ عَنْ أَيْرِي لَهَا فَتَجَحَّدَلْتُ وَكَذَاكَ صَاحِبَةُ الْوَدَاقِ تَجَحَّدَلُ
لَقَيْتُ أَخَا نَعِظَ لَهَا مَتَبَدَّلًا وَأَخُو الْمَفَاضِحَةِ الَّذِي يَتَبَدَّلُ
وَتَرَكْتُ أَمْلَكَ جَرِيرَ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ رَكَّةَ طَرِيقِ مُعْمَلٍ¹

فإن جرير لزم عليه أن يرد الإساءة لإساءة، حيث لمقابل عيّر الفرزدق ختته جعثن وقال فيها ما
يسيء لسمعتها لحادث حدث لها، حيث "نسب ذلك إلى فتیان من مقاعس إذ استخرجوها من
خبائها ثم سحبوها ليسمعوا بها² و قد صورها جرير في أقبح صورة قائلًا فيها:

وَأَفَاكَ عَدْرُكَ لِزَبِيرٍ عَلَى مَنِي وَمَجْرَجَعْتَكُمْ بِذَاتِ الْحَرَمَلِ
تِ الْفَرَزْدَقِ يَسْتَجِيرُ لِنَفْسِهِ وَعِجَانُ جَعْتِنِ كَالطَّرِيقِ الْمَعْمَلِ
أَيْنَ الَّذِينَ عَدَدْتَ أَنْ لَا يُدْرِكُوا مَجْرَجَعْتِنِ بِنِ ذَاتِ الدُّمَلِ؟
أَسْلَمْتَ جَعْتِنِ إِذْ يُجْرُ بِرَجْلِهَا وَالْمَنْقَرِي يَدُوسُهَا لِمَنْشَلِ
تَهْوِي أَسْئُهَا وَتَقُولُ: لِمَجَاشِعِ وَمَشَقُّ نَقَبَتِهَا كَعَيْنِ الْأَقْبَلِ³

غير أن جريرا لغ في هذا الحادث، لأن جعثن لم يطأها أي فتى من فتیان مقاعس فهذا الخبر وإن كان
فيه بعض من الصدق، لإحالة على واقعة حقيقية، إلا إن المبالغة فيه جعله كاذبًا. فالخبر إن زاد شيئًا
عن حقيقته تحول إلى كذب. كما أن صور الفحش الواردة في النقائض كانت لإرة الضحك وسط
الناس يقول جرير: "إذا هجوت فأضحك"⁴. وفي نفس السياق يقول الفرزدق:

¹ أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير و الفرزدق ص 323-320

² أحمد الشايب، ريخ النقائض، ص 274

³ أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير و الفرزدق، ص 347-348.

⁴ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح أحمد أمين وزملاؤه، د.ط، ج5، 1983، ص300.

كريمًا لهم إلا لتيما أوائله؟

ألا تدعي إن كان قومك لم تجد

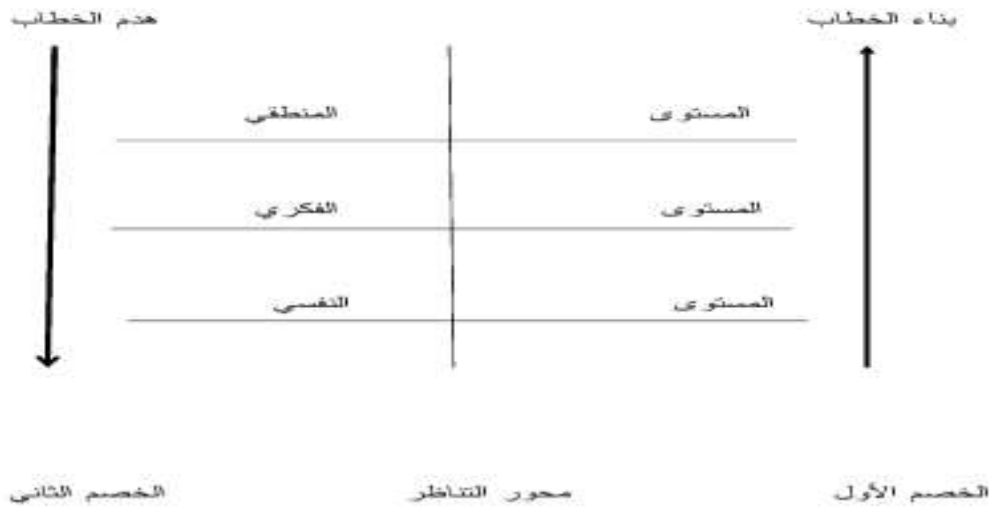
ألا تفتري إذ لم تجد لك مفخرًا؟

ألا تفتري إذ لم تجد لك مفخرًا؟

فيسمعه ابن المراغة جاهلة¹

فتحمد ما فيهم ولو كنت كاذبًا

إن جريرا لم يترك صفة سيئة إلا ووصف بها الفرزدق لأن "الشعر الهجائي العميق لا يتولد إلا بعد أن يختمر في ضمير النفس، في بئرها المظلمة، حيث يتفاعل ويتداخل وتتولد فيه أنشطة متعصية من أحوال الكراهية والمقت والعاهة². فابن السبعة أشهر يشعر دائما لنقص، كارها القدر الذي لم يكن منصفا معه فهو حامل الأجداد، عاش حياة فقر وعوز وكان هذا الفقر سبيلا له إلى الإلحاف لطلب، يتوسل له المدح حيننا والهجاء أحياء وينخرط في التزاث العصبى بين القبائل ... ولعله إذا كان يضاعف من فحشه في الهجاء إنما كان يضاعف من التحظي والاسعاف، لقد كان يرتق بهجائه ويكسب³ عيشه". نستطيع أن نلخص المسار التفاعلي للمناظرة وفق المخطط التالي:



نستنج من هذا المخطط ، ومن المسار التفاعلي للمناظرة ما يلي :

1-المستوى الأفقي : تساوي الفرص بين المتخاطبين والذي يظهر على ثلاث مستويات:

أ- المستوى النفسى : كل متناظر عبّر عن مقصديته ،وهي الحالات النفسية التي تسبق العملية الابداعية.

¹أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 294.

²محمد محمد حسين الهجاء والهجاءون، ص 83.

³م.ن.ص 291

(ب)- المستوى الفكري : كل متناظر عبر عن اعتقاداته وإن كانت متساوية في القوة فإنها مختلفة في الاتجاه.

(ج)- المستوى المنطقي : كلا المتناظرين استند في ادعائه إلى أدلة وبراهين .

أما على المستوى العمودي، فهذا المخطط يظهر لنا عمليتي البناء والهدم في المناظرة، فالمتكلم ينطلق من الحالات النفسية والمقاصد الخطابية في بناء نصه و تحميلة اعتقاداته، مستغلا في ذلك المستوى المنطقي عطاء الحجج والبراهين في حين يتبع المخاطب مسارا عكسيا، فهو يحلل البراهين والأدلة ليصل إلى معتقدات المتكلم مما يحدث خللا في توازنه النفسي فيرد على الخطاب متبعا في ذلك خطوات المتكلم نفسها.

في النهاية بقي علينا أن نفسر نقطة ربما تشغل القارئ المتبع لمسار هذه المناظرة والمتمثلة في أسباب نجاحتها، رغم خرق مستواها التهذيبي والتعاملي؟

إن أية مناظرة لا بد أن تؤول إلى نهاية معينة، وتكون عادة قتناح أحد الطرفين برأي الطرف الآخر. وفي الغالب يكون في المناظرة طرف لث تحوّل إليه مهام الحكم بين الطرفين المتناظرين، وهذا ما هو حاصل في النقائض. غير أن الحكم في هذه المناظرات متعدد ومتنوع ومختلف. أما التعدد فيعود إلى كثرة الحكام الذين يُحْكَم إليهم وأما التنوع فهذا راجع إلى طبيعة كل حكم وثقافته، فمنهم الرواة¹، الحكام والأمراء² الشعراء³... الخ وهو ما أطلقنا عليهم في بداية هذا الفصل لمتلقي الخاص). أما الاختلاف فيعود إلى اختلاف هؤلاء في تفضيل أحد الشاعرين على الآخر. فمما نقله لنا صاحب الأغاني قوله: " أخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمان عن عبد بن عياشاهمذاني قال:

بيننا المهلب ذات يوم أو ليلة بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة وصياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إ اختلنا في جرير والفرزدق؛ فكل فريق منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر، وقد رضينا بحكم الأمير . فقال كأنكم أردتم أن تعرضوني لهذين الكلبين فيمزقا جلدي ! لا أحكم بينهما، ولكي أدلكم على من يهون عليه سيال

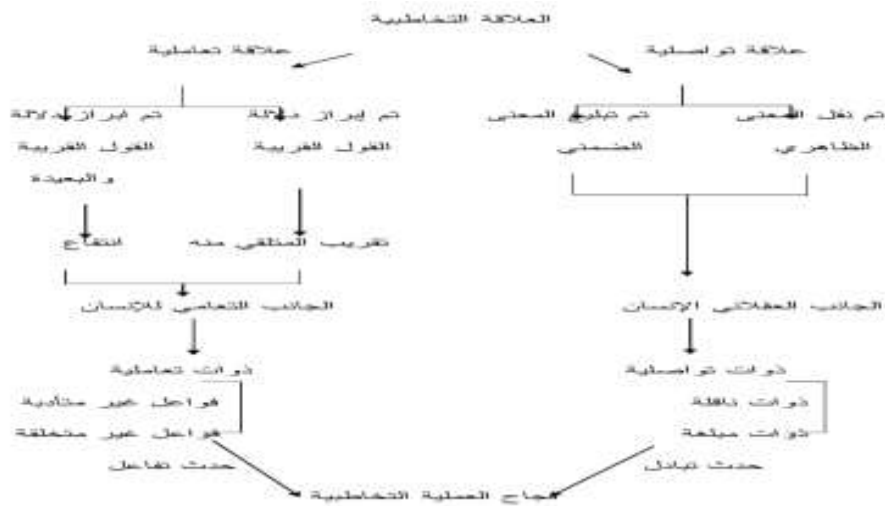
¹ - من أمثلة ذلك موازنة حماد الراوية بين جرير والفرزدق، ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ص 35.

² - من أمثلة ذلك موازنة بشر بن مروان بين جرير والفرزدق، ينظر المصدر نفسه، ص 35-36.

³ - من أمثلة ذلك موازنة بشار العقيلي بين جرير والفرزدق والأخطل، ينظر، المصدر نفسه، ص 59.

جرير وسبال الفرزدق، عليكم لأزارقة¹. فحكم عبيدة بن هلال اليشكري لجرير نفهم من خلال هذا الخبر أن الحكم، وإن كان يمتلك الكفاءة المعرفية والسلطة، إلا أنه لا يستطيع أن يكون موضوعيا في حكمه، وذلك دفعا لأي ضرر يمكنه أن تيه من أحد الشعاعين. غير أن للحكام، كسلطة مادية، ثيرا على الحكام الآخرين، كأشخاص يحتكم إليهم في تفضيل أحد الشعاعين على الآخر، من أمثلة ذلك ما قام به بشر بن مروان حين بعث محمد بن عمير بن عطارد المجاشعي إلى الأخطل حاملا معه لف درهم وبغلة وكسوة وخمر، كي يحكم للفرزدق ويبدو أن تلك كانت وسيلة الحكام الأمويين في تثبيت سلطتهم، حيث اتخذوا المال وسيلة لتثبيت عرشهم فأغرقوا على خصومهم تخفيفا لنقمتهم وعلى أنصارهم استبقاء لمعوتهم ووجدوا طائفة من الشعراء تؤيدهم في ذلك رغبة في العطاء ورهبة من العقاب على جرير².

رغم هذه الأحكام غير الموضوعية في تفضيل الشعاعين أحدهما على الآخر إلا أن هنالك من النقاد من كان موضوعيا في أحكامه، فأغلبهم اتفق على أن لكل شاعر غرضا يجيده مقارنة لأغراض الأخرى، فقد كان جرير "مقدما في النسب والهجاء المتصلين لنقائض، أما الفرزدق فامتاز لفخر، في هذا الباب لذلك يتساوى المتناظران في هذه المناظرة. الشكل (1):³



هذا التبادل في الأدوار بين المتكلم والمستمع، ومناقضة أحدهما كلام الآخر، وهذا ما أدى إلى توالد النصوص من بعضها، ومما زاد هذه المناظرة تفاعلا معرفة المتناظرين كل منهما الآخر معرفة جيدة إلى

¹ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثامن، ص 41.

² ينظر، أحمد الشايب، ريخ النقائض في الشعر العربي، ص 207.

- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، ص 88³

درجة ارتقائها إلى مرتبة التحاور. زد على ذلك أن هذه المناظرة لها عدة معينات في إنتاجها أهمها هذا المتلقي المتعدد والمتنوع الذي أثر في مسارها.

أما عن العلاقة التعاملية فإنها أخذت بعدا آخر، فقد اتجهت وجهة سلبية، وهذا الاتجاه السلبي لها لم يمنعها من تحقيق الهدف النفعي منها، والمتمثل في اجتلاب نفع ودفع ضرر، ويعود ذلك لدرجة الأولى إلى الهدف الأساس من المناظرة والذي يتمثل في تنمية القدرة اللغوية لدى الشاعرين إلى جانب التسلية والترفيه. إضافة إلى طبيعة الخطاب الشعري الذي يعتمد على الكذب، لذلك امتنع تطبيق القانون التهذيبي والتعاملي الذي صاغه طه عبد الرحمان على الشعر، لأنه في موضع الجد وجد جريرا رثى الفرزدق عند وفاته فقال: " أما و إني لأعلم أي قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمننا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه.¹ فمات جرير بعد سنة من وفاة الفرزدق .

¹ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثامن، ص 88.

الفصل الثاني: آليات بناء السلم الحجاجي وتجليات العلاقة الإستدلالية في شعرالنقائض

المبحث الأول : آليات بناء السلم الحجاجي

المطلب (1) : آليات الإدعاء .

المطلب (2) : آليات الإعتراض .

المطلب (3) : الوسائل البلاغية ودورها في الحجاج .

الفصل التطبيقي : آليات بناء السلم الحجاجي في النقائض .

فيهذا الفصل سنحاول الكشف عن الأدوات الإجرائية من خلال تطبيق السلم الحجاجي في شعر النقائض من خلال نقيضتين لجرير والفرزدق وهما : "إنّ الذي سمك السماء" و"سمّ قع" .
أولا : -آليات الإدعاء:

إنّ الموضوع الذي تدور حوله المناظرة معروف سلفا لاتفاق بين الطرفين، وهو مناقضة أحدهما الآخر قوله- وهذا ما تستدعيه المناظرة كمنهج- والنقائض في حقيقتها حاملة غرضين مهيمين على الأغراض الأخرى، هما: الفخر والهجاء، وهما غرضان متناقضان يستدعي أولهما وضع الذات المتكلمة في أعلى السلم الاجتماعي. والثاني وضع الذات المخاطبة في أدنى هذا السلم .
فالفخر لذات يتضمن في الوقت نفسه تمهيش الآخر في لحظة التلفظ لخطاب"ويكفي حجاجا أنّ الفخر هو مناط الحجاج هنا ، إذ يضع الشاعر نفسه في أعلى السلم الحجاجي ، لأن التلفظ لأ يخفي الآخر ، سواء أكان التلفظ ظاهرا أم محبوعا لتلميح إليها في الخطاب"¹ يقول الفرزدق مباشرة في طرح موضوعه:

إنّ الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

بيتاً بناه لنا المليكُ ، وما بيّ حكّم السماء ، فإنه لأينقلُ

إذ تجلّى الحجاج في هذا المقطع عبر السلم المفهومي، فأشار "الفرزدق" إلى أن بيته - والذي يدل هنا على النسب العريق لعائلته - أعلى البيوت، حيث وضعه في أعلى السلم. وأنّ هذا الموقع لا يمكن لأحد أن يزيحه عنه معللاً أنّ الذي بناه له هو " سبحانه وتعالى ، الذي عبّر عنه بثلاث صيغ مجازية ترابئية:²

أولها قوله (سامك السماء) التي تعني رافعها لدرجة الأولى، وخالقها لدرجة الثانية- خاصة إذا عرفنا أن أول ما خلقه في هذا الكون، حسبما تشير إليه بعض التفاسير هي السماء- فينتج عن هذا الملفوظ أن خالق السماء ورافعها جعل نسب المدعي (وهو الفرزدق) أعرق وأطول نسب.

¹ - عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004، ص506.

² - مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة نصين لجرير والفرزدق، دار ميم للنشر الجزائر، 2010، ص100-101.

ثم أردف بهذه الصيغة صيغة أخرى تقع تحتها وهي قوله (المليك)، وجاءت على وزن "فعليل" وهي صفة مشبهة دالة على الثبوت أو شبهه، وأصلها مالك "اسم فاعل". التي تدل على معنى طارئ غير بت، ولا شبيهه لثابت¹. فصفة "المليك" هي صفة لصيقة لله تعالى وهو خالق الكون.

إن خالق الشيء لا بد أن يكون مالكة، ومالك الشيء حرّ التصرف فيما يملك وهو ما عبر عنه الفرزدق لصيغة الثالثة بقوله (حكم السماء)، وما أقره حكم السماء فلا مردّ له، لذلك لزم عن هذا كله الثبات والاستمرار. وهي بنيات لغوية أفرزتها السياقات الخارجية من معتقدات دينية كالإيمان التجريبية. فبالاستدلال المنطقي يمكننا اعتبار هذه الملفوظات بمثابة حجة عقلية، حيث اتخذ الفرزدق من صفة خالق الكون والجاعل لهم فيه نسبا عريقا ومقاما رفيعا دليل على أن هذا النسب بت لا يتغير.

لإضافة إلى ذلك فإن هذه الصيغ "سامك"، "السماء"، و"المليك"، و"حكم السماء" تتخذ خارج السياق اللغوي معنى تداوليا أو مقتضى تداوليا، حيث قام الفرزدق بنقل المقام أو الواقع الخارجي إلى داخل الملفوظ محققا بذلك فعلا لغويا آخر وهو وجوب الطاعة والاستسلام لمشئته (ضمن الشروط التمهيدية لنجاح الفعل اللغوي) لنجاح قي حججه، ووضعا في نفس الوقت المتلقي موضع الضعيف العاجز. ويدخل هذا أيضا -حسب فيليب بريتون - ضمن الحقيقة العلمية التي ميّزها عن الحجة، حيث يرى أنّ الحقيقة العلمية يقينية خاضعة للتجريب الذي يمنحها اليقين، ومثلها مثل المعتقدات الدينية أو الشؤون الإلهية، فما قاله لا بد من الأخذ به لأنه هو من يقول².

وما يدعم هذا الاعتقاد الأفكار السائدة في البصرة إن حكم الأمويين فقد كانت الحياة السياسية فيها تتنازعها أربع فرق دينية في ظاهرها وسياسية في حقيقتها. هي: أهل السنة، الشيعة، الخوارج، المرجئة.

ويمكن تجسيد صورة هذا الاستدلال كما يلي:

م 1: وأطول إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا أعز وأطول.

م 2: ما بناه المليك ليس له من منقل.

¹ - ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ط10، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص242.

² - voir :Philippe Breton ,op.Cit ,p:26.

: بيتنا أعز وليس له من منقل.

ولم يكتف المدعي في ادعاءاته لطريقة غير المباشرة والمتمثلة في التضمين بل عمد أيضا إلى استعمال الإستراتيجية المباشرة لتعبير الصريح على أن مكانة الخصم (وهو جرير) في أدنى السلم الاجتماعي قائلا :

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ العَنكَبُوتَ بِنسَجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ الكِتَابَ المُنزَّلُ¹

يشير في هذا البيت إلى حجة لا تقل عن الحجة الأولى قوة ، آخذا من معنى الآية الكريمة ((وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنكَبُوتِ لو كانوا يعلمون))². حجة تعطي للنص سلطة لغوية انطلاقا من السلطة اللغوية للنص المنقول عنه. فاستكمال النص يمكنه كيد التضمين الذي يستدعيه المعنى في هذا الملفوظ. فالمدعي في هذه الحالة يؤدي وظيفتين:

- وظيفة الادعاء

-وظيفة الاعتراض

كما أنّ الادعاء في حقيقته ادعاءان:

1- ادعاء معنى جلبي (ظاهر) وهو: بيتي أعلى من بيتك والظاهر من خلال البيتين السابقين .

2- ادعاء معنى خفي (ضميني): وهو معنى مضمّر يمكن استنتاجه من -المعنى الجلي - السابق-

وهو: بيتك أدنى من بيتي.³

والاعتراض أيضا في حقيقته اعتراضان: - اعتراض جلبي وهو: بيتك أدنى من بيتي، وهو اعتراض صريح على الادعاء الخفي السابق، و الظاهر من حال البيت التالي :

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ العَنكَبُوتُ بِنسَجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنزَّلُ

2- اعتراض خفي: وهو اعتراض خفي وهو: اعتراض على أن بيت جرير أحسن من بيته، وهو اعتراض خفي للادعاء الجلي السابق.

¹- حذيفة بن بدر بن سلمة، جرير، الديوان، د.ط، دار بيروت، بيروت، 1983، ص 318..

²-سورة العنكبوت، الآية 41.

³- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائص، دار ميم للنشر، الجزائر، 2010، ص 105.

في ظلّ هذا الازدواج الوظيفي بين الادعاء والاعتراض تنقسم الذات المدعية إلى أربع ذوات هي: ذات مدعية جلية، ذات مدعية خفية، ذات معترضة جلية، ذات معترضة خفية.

وللتأثير على الخصم أكثر يقتضي على المدعي أن يلجأ إلى تقنيات وآليات حجاجية أخرى لإثبات ادعائه، وهي مجموعة من الطرائق والآليات والتقنيات اللسانية و المنطقية والعقلانية التي تمكن المدعي من تحقيق هدفه في التأثير على الطرف الآخر - من جهة - وتحريك الجمهور من جهة أخرى - وهي خصائص تتحقق بها دلالات القول من داخله وفي علاقته لظروف المقامية والمعرفية والنفسية- التي أشر إليها سابقا- والسؤال الذي يهمنا ونحن في مقام البحث عن الحجاج هو البحث عن نوع الحجج المعتمدة في الخطاب وطبيعتها¹.

وقد ميّز أرسطو بين ثلاثة مستويات حجاجية، الأول المتعلق لمخاطب ، والثاني لمتكلم والثالث لخطاب قائلًا: "فأما التصديقات التي نختار لها لكلام .

فإنها ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدارجه نحو الأمر، ومنها لكلام نفسه قبل التثبيت."

- يتعلق الأمر في المستوى الأول لصفة أو الصورة التي يقدمها المخاطب عن نفسه.

- أما الأمر في المستوى الثاني فيتعلق بعملية التأثير في المستمعين (خوف، رهبة غضب، كارهية).

- أما في المستوى الثالث فيتعلق الأمر فيه لطرق الاستدلالية المعتمدة في : الخطاب وقد ميز بين نوعين من الأدلة :

1- الأدلة التقنية (الحجج المصطنعة): والمتعلق لبنية المنطقية للأقوال والمتعلقة بقدرات الخطيب.

2- الأدلة غير التقنية (غير المصطنعة): والمتعلقة لوقائع والنصوص الاستشهادية الخارجة عن قدرات الخطيب، وتشمل النصوص القانونية، والشهادات القديمة، والسلطة المعنوية للشخصيات العظمى، أو الاستشهاد بواقع أو احتمالات الوقائع والعقود والاتفاقيات، والاعتزافات والوصا².

¹-مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض ، ص105.

²- المرجع نفسه ،ص 106.

1- الأدلة التقنية: من الطرائق والتقنيات الحجاجية في النقائض "الطرائق الذاتية"، والمتمثلة في تدخل الذات في العمليات الحجاجية، ليست فقط كونها طرفا من أطراف الحجاج ولكن كذات أسلوبية تمتلك أسلوبا قوليا معنا تميز به عن غيرها من الذوات الأسلوبية الأخرى "ذلك أن فعالية وجدية خطاب المتكلم تقتضي تقديم أو إظهار بعض القدرات المعرفية، وبعض المصادر السياقية التي تنعكس لضرورة في الطريقة أو البناء الأسلوبي الذي يصوغ به قوله الحجاجي".¹

إلى جانب ذلك يعتبر "فيليب بریتون" أن الأساس في مخطط العلاقة الاستدلالية الوارد سابقا هو أن تتم الحجة وفق مبدأ الملائمة أو المناسبة، أي اختيار الحجة وفق ما يناسب التداول، أما العناصر الثلاثة الأخرى: المتكلم، المستمع، والحجة فهي لنسبة له وسائط أو عوامل لتحقيق هذا الغرض. فالأمر إذا يحتاج إلى اختيار الأحسن يقتضي "اللجوء إلى التداول، سواء تعلق الأمر لأخلاق أو القانون أو السياسة" أو اللغة.²

إنّ الصراع القائم بين جرير والفرزدق هو صراع لغوي لدرجة الأولى، فهما ينتميان إلى عصر ازدهار اللغة، والشاعر الفحل - في رأي نقاد هذا العصر - هو الذي يستطيع اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المراد التعبير عنه.

لذلك فلا مناص من القول إن المدعي وظف آليات لغوية اقتضاها السياق، حيث أنّ كفاءته اللغوية وطبيعة الغرض الذي لأجله دخل في المناظرة رجّحت بعض الأدوات اللغوية عن غيرها من الأدوات الأخرى.

من هذه الأدوات التعبيرية الدالة على صيغ أفعال التفضيل، وهو الذي يدل - في أغلب صورته - على الاستمرار والدوام، ما لم توجد قرينة تعارض هذا، فشأنه في الدوام شأن الصفة المشبهة، وهي صيغة تدل على اشتراك الشيئين في معنى معين، وأن أحدهما يزيد في المعنى عن الآخر، سواء كان ذلك المعنى محمودا أو مذموما، وهو اسم، مشتق، على وزن: «أفعل» يدل - في الغالب - على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه. فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي - في غالب حالاته - ثلاثة:

1- صيغة «أفعل»، وهي اسم، مشتق.

¹ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ط1، إفريقيا الشرق المغرب، ص136.

² - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، د.ط، إفريقيا الشرق، المغرب، 2005، ص16.

(2) - شيئان يشتركان في معنى خاص.

(3) - زدة أحدهما على الآخر في المعنى الخاص.¹

وهو ثلاثة أقسام:

(1) - مجرد من (ال) والإضافة وحكم هذا التقسيم أمران :

أ- وجوب إفراده وتذكيره في جميع حالاته، حيث لا تتغير في هذه الحالة صيغة أفعال التفضيل مع الجمع، أو المثني، أو المذكر، أو المؤنث.

ب- وجوب دخول (من) جارة للمفضل عليه، شرط أن يكون قصد التفضيل قيا ويستلزم ذلك أحكاما منها:

- جواز حذفهما معا، شرط وجود دليل عليهما².

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مطلع القصيدة أعز وأطول ، قصد منه ، أعز وأطول من بيتك (والكاف تعود هنا على جرير) "فلما صار في موضع الخبر استغنى عن (من) لقوة الخبر وخرج مخرج (أكبر أعلى وأجل «³.

وفي كتاب عزو جل { : والسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ .

2- مقرون : (ل) وهذا يوجب أمرين :

أ- أن يطابق صاحبه في التذكير والتأنيث، والافراد و الجمع.

ب- عدم مجيء من الجارة للمفضل عليه.

وذلك في مثل قول الفرزدق :

وألبن حنظلة الأغر وإنني في آل ضبة للمعم المخول

وقوله أيضا :

ابن المراغة أين خالك ؟ إنني خالي حُبَيْش ذو الفعال الأفضل

الأكثرون إذا يعد حصاهم والأكرمون إذا يعد الأول⁴

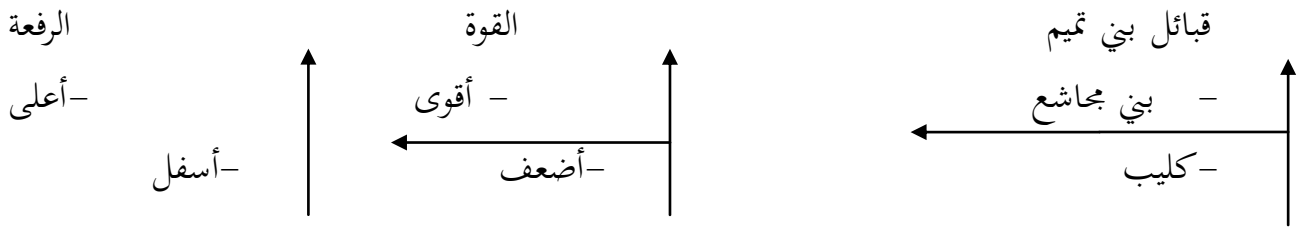
¹- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 395.

²- ينظر عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص 395 وما بعدها .

³- أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق ، ج 1 ، هامش الصفحة 292.

⁴- مكلي شامة ، الحجاج في شعر النقائض ، ص 110.

يمكن تمثيل ما سبق وفق المخطط التالي :



فحسب قانون خفض السلم الحجاجي إذا صدقا القول على مراتب معينة من هذا السلم الاجتماعي للمتناظرين فإن الفرزدق ينتمي إلى أحسن قبائل بني تميم وهي قبيلة مجاشع، أما جرير فهو ينتمي إلى أضعف هذه القبائل وهي بنوكليب.

ولكي يعبر الفرزدق عن مقصديته من القول وليدعم صيغ أفعال التفضيل -السابقة-- لجأ إلى توظيف بعض العبارات الدالة على القوة والكثرة، حيث تنتمي هذه العبارات إلى الفئة الحجاجية نفسها لأفعال التفضيل، حيث يفترض ديكرود O.DUCROT أن متكلماً يصنف أو يضع الحجة جَ وج في فئة حجاجية محددة لقضية (م) إذا اعتبر (ج) أعلى من (ج) (أو أقوى من (ج)) لنسبة ل (م) إذا... قبل استنتاج (م) من (ج) يتضمن قبول استنتاج (م) من (ج) ، والعكس غير صحيح¹. وهذه الحجج تدخل في إطار ما يسميه " بريتون " لحجج السلطوية Les arguments d'autorité.

تظهر سلطة المدعي بذلك من خلال سلطة بعض الصيغ الأسلوبية أو الكلمات التي يوظفها في خطابه، والتي تحمل معنى التفوق والقوة، ومن هذه الصيغ ما يدل على الكثرة وذلك في مثل قوله:

وَمُعَصَّبٍ لَتَا حِجِّ يَخْفِقُ فَوْقَهُ خِرْزُقُ الْمَلُوكِ لَهُ حَمِيْسٌ جَحْفَلُ

فكلمة خميس : : تعني الجيش ، أما الجحفل فتعني الكثير من الخيل.

وقوله أيضا:

وَإِذَا نَعَوْتُ بِنِي فُقَيْمٍ جَاءَنِي مَجْرٌ ، لَهُ الْعَدَدُ الَّذِي لَا يُعْدَلُ

وَإِذَا لَرَّرْتُ حِلْعَنِي دُقَاعَهَا مَوْجًا كَأَنَّهُمُ الْجِرَادُ الْمُرْسَلُ

¹ -Ducrot ,Oswald, les échelles argumentatives, les éditions de minuit,1980,p :18.

فالجر هو الجيش الكثير، أما الدقاع فهو السيل حين يكثر حيث شبه كثرة الرجال لسيل حين يندفع للتعبير عن قوة الجيش¹.

وإذا كان للسكاكي فضل الزدة في تقسيمه البلاغة إلى ثلاثة علوم (علم المعاني وعلم البيان، وعلم البديع) فإن لسابقه فضل الردة في الإشارة إلى هذه العلوم وخاصة منهم عبد القاهر الجرجاني، الذي حاول من خلال كتابه (دلائل الإعجاز) إنشاء علم للمعاني، فنظم الكلم عنده لا يتم بضم الشيء كيفما جاء واتفق، إنما قتفاء المعاني وترتيبها حسب ترتبها في النفس، فقول القائل (قَتَلَ الخارجي زيد) بدل (قتل زيد الخارجي) إنما لعلمه أن الناس الذين سيلقى عليهم الخبر يهمهم منه فائدته، وهو أن يعلموا أن الخارجي قد مات فكفوا بذلك شره و لا يهم في ذلك الفاعل بقدر ما يهمهم المفعول به².

فكذلك قول الفرزدق :

وهمُ الذين على الأَمِيلِ تداركوا نَعْمًا يُشَلُّ إلى الرئيسِ وَيُعْكَأُ
وهم الذين عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةً فوهاءِ فوق شؤونه لا تُوصَلُ

فالابتداء لضمير (هم) و كیده سم الموصول (الذين) كان للتركيز على الفاعلية فهو في مقام الفخر، ويعني لضمير (هم) بني ضبة أخواله وزيد الفوارس منهم. كما نلاحظ أن التقديم والتأخير في الكلام في هذا المقام من دواعي الأغراض البلاغية المتمثلة في تقوية الحكم وتقريره، وذلك في مثل قوله: وهم الذين علوا، والذين وهم الذين على الأميل... فهذا أبلغ في كيد قوتهم مما لو قال : أو الذين على الأميل. "فتقديم جزء من الكلام أو خيره لا يرد اعتبارا في نظم الكلام و ليفه، وإنما و يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها"³

ومن أهمها: 1- التشويق إلى متكلم.

2- تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطهير.

3 - كون المتقدم محط الإنكار والتعجب.

4- النص على عموم السلب أو سلب العموم.

¹-مكلي شامة،الحجاج في شعر النقائض ، ص112.

²-م.ن، ص 73-74.

³-عبد العزيز عتيق،علم المعاني ،د.ط،دار النهضة العربية،بيروت،1985،ص 70.

5- تقوية الحكم وتقريره

6 - التخصيص.

7- التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت¹.

إنّ الخبر الذي ألقى على المخاطب من قبل المتكلم هو خبر إنكاري، لذلك لزم عن هذا الأخير توكيده: - في بعض المواضع - بمؤكد أو اثنين ومن ذلك: الأداة إنّ، في مثل قوله:

إنّ ابن ضبة كان خيرا والدا وأتمّ في حسب الكرام وأفضل

حيث تفيد إنّ في هذا الموضوع توكيد الخبر الذي هو موضع الشك أو الإنكار لدى المخاطب والمحقق لدى المتكلم، إذ من الخطأ الباغي استخدام (إنّ وأن) لغير الموضوع والتأكيد بهما².

والأدا ن: إنّ واللام، وذلك في مثل قوله:

إّ لضرب رأس كل قبيلة وأبوك خلف أ نه يتقمّل

مؤكّدا خبر قوتهم بمؤكّدين: اللام والأداة إنّ.

استخدم الشاعر في قصيدته البحر الكامل ذا التفعيلات المتكررة (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) حيث يرى الباحث "أحمد سيّد محمد في كتابه "نقائض ابن المعتز وتيمم بن المعز" أن هذا الوزن يصلح للتعبير عن حالة الانفعال، في مقابل البحور ذات التفعيلات المختلفة التي تصلح - حسب نفس الباحث- للمناقشة.

1-2 الأدلة غير التقنية:

يدخل ضمن الحجاج ما هو خارج عن قدرات الشاعر اللغوية ويتمثل ذلك في الاستشهاد ببنيات ووقائع خارجية وهي بنيات مستمدة من الواقع الماضي، بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث ريحية أو شخصية تترجمها الحكم والأمثال والحكايات والكنيات وغيرها... تكون معروفة من قبل، وذات قيم مجتمعية، وتحظى احترام الأفراد والجماعات³.

وتدخل هذه التقنية الحجاجية ضمن كفاءة المدعي، مما يكسبه سلطة أكثر، فهو إلى جانب امتلاكه الكفاءة اللغوية والعلمية (كمعرفة اللغة، والنحو...)، يمتلك كفاءة معرفية، فهو مطلع على ريبخ

¹ - م.ن، ص 138-139.

² - ينظر عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص 631.

³ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغبر، ص 94.

الأدب العربي منذ العصر الجاهلي فذكر شعراءهم وأمههم، والمعارك التي خاضوها وانتصروا فيها، وقبائلهم، وقوادهم، وتدخل هذه التقنية أيضا ضمن ما يسميه الجاحظ لشاهد و "هو استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروى بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك¹.

وقد لجأ إليها المدعي لأنها تنتمي إلى الآراء المشتركة التي تدخل ضمن حجج المشاركة- كما يسميها فيليب بريتون - مضيفا إليها المواضيع والقيماتي "تلعب دور أساسا في الحجاج كمنشاط تواصلية"².

ضمن هذه الآليات استشهاد المدعي لخبر الذي يعني "معلومة، ريخية أو أدبية أو شخصية أو غيرها"³ يرويها راو واحد أو أكثر، يتناقله الرواة الآخرون فيما بينهم يكون أولهم شاهدا عليه وراو له، والآخرون- من تون بعده- لا يتجاوزون حد الرواية، وذلك شارته إلى وقائع، وشخصيات وأحداث ينتمي بعضها إلى التاريخ السحيق، وبعضها الآخر عايشها الشعاعان ومنها، مما ذكر في هذه النماذج: يوم بزاحة، يوم فلك الأميل... الخ.

هذه الوقائع والشخصيات في أصلها هي بنيات تختلف عن بنية اللغة، لكنها لمشاهدة أو الكتابة أمكن تحويلها إلى وقائع لغوية، حيث تكتسب اللغة في هذه الحالة وظيفة إحالية بتحويل اتجاه المطابقة من الواقع إلى اللغة. لأن "علم الإحالة يتيح إعادة بناء مجرد للواقع بحيث يمكننا ربط وحدات مجردة في اللغة (الكلمات ومقولات وعلاقات) بوحدات مجردة في الواقع الخارجى، وذلك من خلال المعاني المفهومة لوحدات اللغة"⁴.

¹- أبو عثمان، الجاحظ، البيان و التبيين، تقديم وتبويب وشرح: علي أبوالمحم، ط2، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1992، ص86.

²- Philippe Breton, op.cit,p:72.

³- عبد العشي، زحام الخطات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطات الواصفة د.ط، دار الأمل، تيزي وزو، 2005، ص112.

⁴- فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة و تعليق: سعيد حسن مجيري، ط1، دار القاهرة للكتاب مصر، 2001، ص50.

يعبر فان ديك عن ذلك لحد ويعرفه بقوله: "كل عبارة ، يمكن استعمالها للإحالة على ذات أو ذوات عالم ما" فكل جملة هي تعبير عن واقعة في عالم حقيقي أو متخيل. وتتكون الجملة من مجموعة من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة التي تحيل عليها.

وقد أشار المدعي في خطابه إلى بعض من الوقائع هي بمثابة حجج على ادعاءاته متلاكة المكانة العالية وسط القبائل الأخرى . وهي مدرجة مسبقا في النموذج الذهني للمخاطب استنادا إلى المعارف المشتركة بينهما، ومن الوقائع ما يحيل عليه من خال ما يلي :

وهم على ابن مزيقاء تنازلوا والخيل بين عجاجيتها القسطل
فيدل الحمول تداركوا، يشل، يعكل، على واقعة ما.

أما الحدود: ابن مزيقاء، الرئيس، والضمير (هم) - الذي يعود على شخص ذكروا من قبل وهم: بنو ضبة وزيد الفوارس منهم - فهي ذوات مشاركة في الواقعة في حين يدل الحد: الأميل، على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهو رمل يعرض ويستطيل مدار يوم أو يومين.¹

فيوم فلك الأميل كان لبني ضبة علي ابن شيبان ، حيث أغار بسطام بن قيس بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانيّ (وقومه من بكر وائل) على بني ضبة ، فاتساق ألف بعير لمالك بن المنتفق (رئيس بني ضبة)، فأتى النذير بن ضبة فلحق لخيل وشد عاصم بن خليفة على بسطام وقتله فرد النعم.

وأما قوله:

ومحرّقا صفدا وإليه يمينه بصفاد مقتسر أخوه مكبل
ملكان يوم بزاحة قتلوهما وكلاهما ج عليه مكبل

فهذه الأقوال أيضا تحيل بدورها على مجموعة من الحدود، فالحمول: قتلوهما يدل وهي (الحرب)، أما الحد "ملكان". فيشير إلى الذوات المشاركة في الواقعة و يقصد بها محرقا و اخاه زد و هما ولدا الحارث بن مزيقاة ملك الحيرة. في حين يدل الحد .

"بزاحة" على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهي بزاحة ويعني الماء.

-أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي ، د . ط ، دار الأمان ، الرباط 1996، ص 132.¹

و يوم بزاحة كان لضبة على ا د فقد أغار محرق الغساني وأخوه ز د - في ا د وطوائف من العرب من تغلب - على بني ضبة بن أد ببزاحة ، فاستاقوا النعم فلحقت بهم بنو ضبة فأدركوهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فأسر زيد الفوارس محرقا وأخاه فقتلتها بنو ضبة .
أما قوله :

وهم الذين علوا عمارة ضربة
فوهاء فوق شؤونه لا توصل
فيدل المحمول علوا على واقعة ما .

أما الحدود: هم، وعمارة، فهي ذوات مشاركة في الواقعة، في حين لم يذكر الحد الدال على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة. وتشير كتب ريش الأديب إلى أن هذا اليوم يدعى: يوم أعيار أو يوم النقيعة.
أما قوله :

وعشيّة الحمل المحلل ضاربوا
ضر شؤون فراشه تنزير

فالمحمولات: ضاربوا، تنزير، تدل على واقعة ما، أما ضمير الجمع (للغائب) في ضاربوا فيحيل على الذوات المشاركة في الواقعة التي دارت بين الإمام علي و السيدة عائشة. أما الظرف المكاني فهو غير مذكور.

يدخل ضمن الأدلة غير التقنية أيضا المتفاعلات النصية الدينية، التي تتداخل لتاريخ "وذلك من خلال إشارات إلى أسماء دينية لها بعد ريخي (...). أو إشارات إلى بعض القصص أو الوقائع فيهما"¹.
فما يميز نقائض العصر الأموي عن نقائض العصر الجاهلي هو توظيفها لبعض ما ورد في القرآن سواء من حية المعاني أو الإشارة إلى بعض قصص الأنبياء، مما أدى إلى نموها وتطورها وتميزها .

من الوقائع التاريخية التي لمح إليها المدعي من خلال خطابه قصة موسى عليه السلام ، حين فرّ من فرعون قاصدا فلسطين ، فعندما وصل إلى مدين (جنوب، فلسطين) وجد بئرا اجتمع فيه الناس يشربون منه ويسقون مواشيهم، فعندما وصل إليه لمح امرأتين واقفتين تبعدان عنهما لئلا يختلط بغنم الآخرين وتنتظران حتى يخلو البئر من الرعاة - لضعفهما وقوة الرجال - فلم يعجب ذلك موسى

¹ سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، ط2، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2001، ص

، فتقدم منهما يسألهما عن شأنهما فأخبر ه أنهما لا تقدران ورود الماء إلا بعد انصراف هؤلاء الرجال ، لضعفهما وضعف والدهما وكبر سنّه .¹

حيث إنه أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي - ممن له خلفية معرفية مسبقة عن قصص الأنبياء- وهو يقرأ هذا البيت.

إنّ الزحام لغيركم فتحينوا ورد العشيّ إليه يخلوا المنهل

هي هذه القصة، حيث ماثل الفرزدق هنا بين الأختين اللتين ورد الماء . لسقي أنعامهما وبين جرير وهذا التمثيل ليدلّل به على ضعفه مقارنة بقوته هو.

ويبدو أن القدماء قد تناولوا هذا المعنى أيضا، فليس من المستبعد أن يكون الفرزدق قد أخذه عن عمرو بن كلثوم القائل في معلقته المشهورة:

ونشرب إن ورد الماء صفوا ويشرب غير كدرا وطينا²

فيمثل التناص في هذه الحالة دوار حجاجيا، وذلك ظهار كفاءة الشاعر الموسوعية فمن مقاييس شعرية الشاعر في القديم أن يكون حافظا لشعر غيره من الشعراء، الفحول منهم خاصة كامرئ القيس، لبيد بن ربيعة... الخ

ومن المعاني القرآنية التي وظفها في خطابه معنى الآية الكريمة ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾

- كما أشر إلى ذلك سابقا- للتعبير عن مكانة خصمه الضعيفة .

نستطيع في الأخير أن نلخص النموذج الشكلي العام للحركة الاستدلالية في خطاب المدعي وفق المخطط التالي ، حيث لاعتماد على العلاقة بين (المعطاء والنتيجة) بتقديم المعطاء على النتيجة أو العكس "يمكن اعتبارها مقطعا قاعد ، وإن سلسلة القضا المكونة للمقطع (مهما كانت طريقة تنظيمها) هي سلسلة يمكن قراءتها و ويلها وفق العلاقة التالية :³

معطاة / أدلة / أسباب نتيجة ←

والربط بين معطاة ونتيجة في المقطع البرهاني يكون مؤسسا صراحة أو ضمنيا بواسطة (ضامن) وسند أو دعامة .

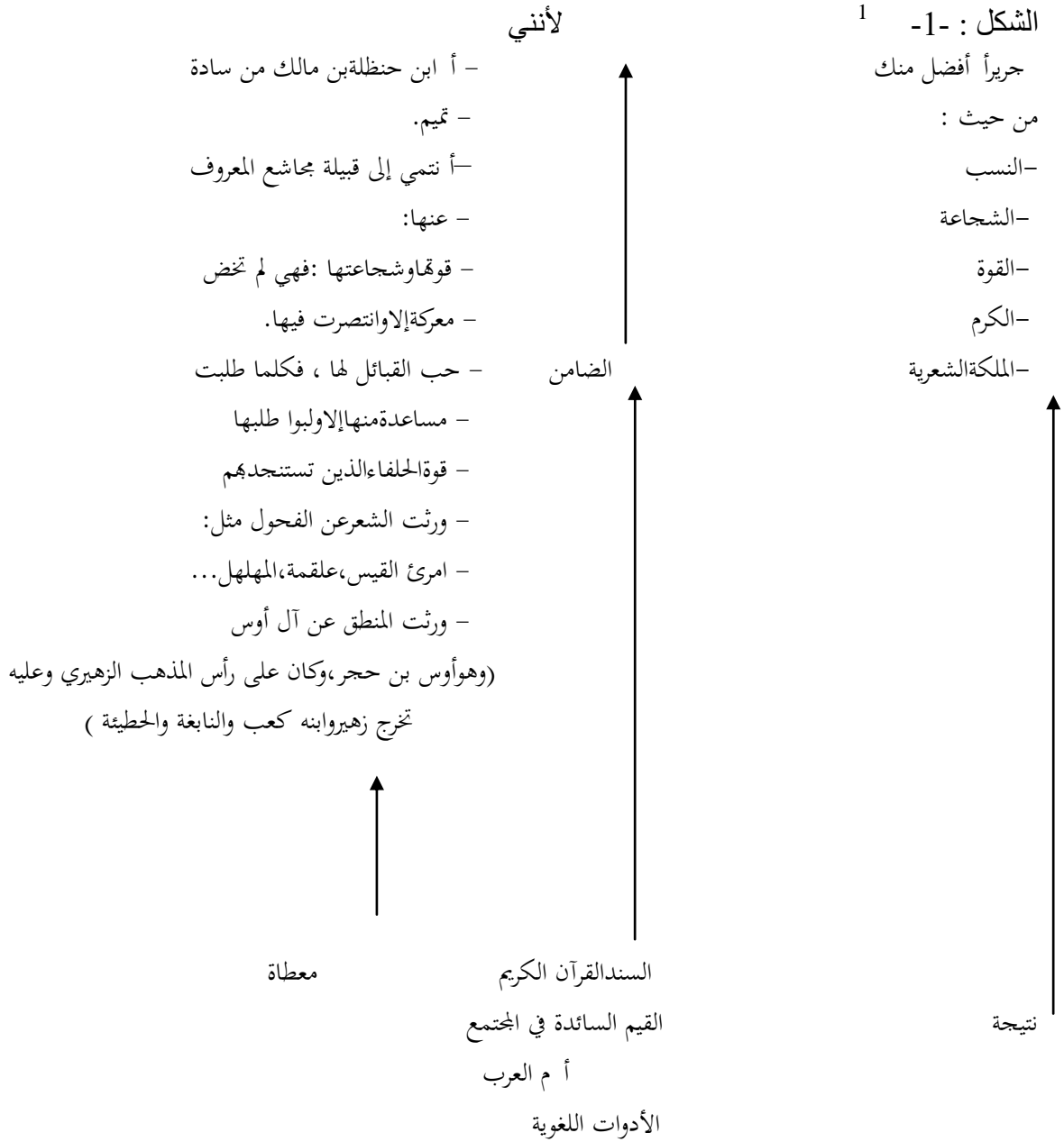
¹- ينظر : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ، ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ضبط وتصحيح : عز الدين الدمشقي د . ط ، دار القلم العربي ، حلب ، 2003 ، ص 202 .

- أبي عبد الحسين بن أحمد ، الزّوزني ، شرح المعلقات السّبع ، د.ط ، دار الجليل ، بيروت ، د . ط . ت . ، ص 188.²

³- عبد القادر بوزيدة ، " نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي) " ، ص 306-307.

تكون المعطاة هي الظاهرة والسند هو المضمرة أغلب الأحيان ، أما العناصر الأخرى المكونة للمقطع البرهاني فهي تتأرجح بين الظهور والاضمار.

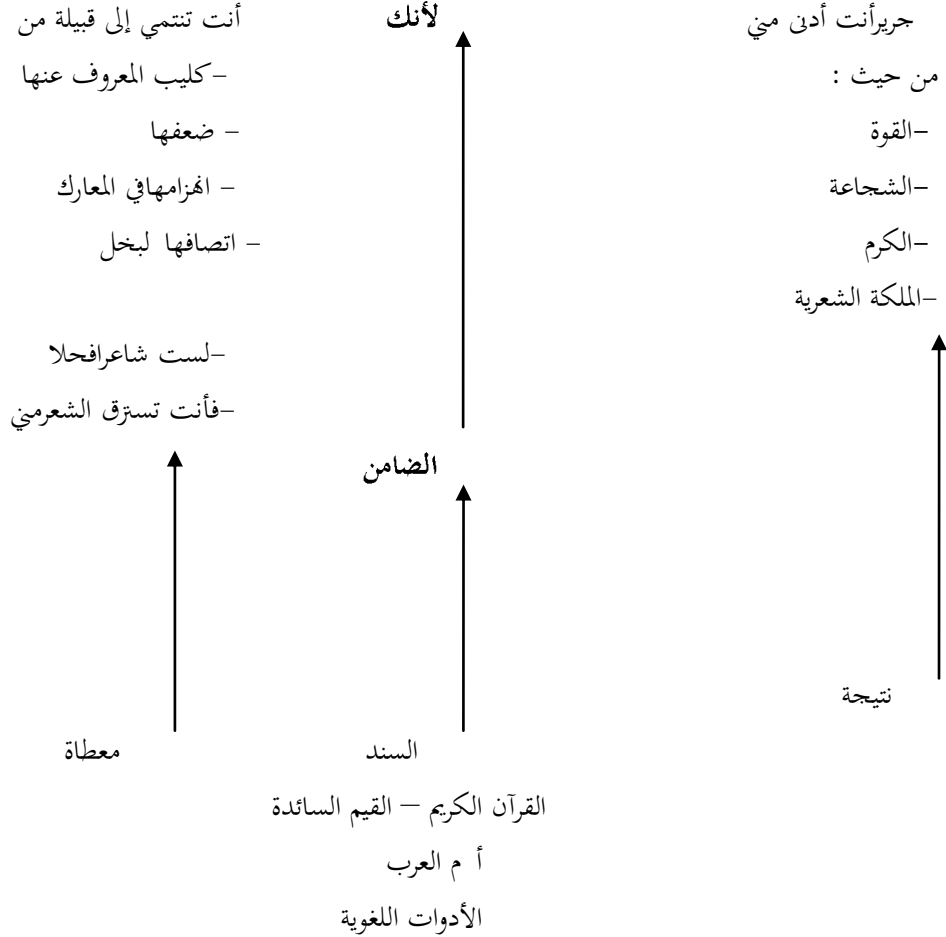
1- في حالة الادعاء: والشكل رقم (1) يوضح هذه الحالة .



- مكلي شامة ، الحجاج في شعر النفااض ، ص 124.¹

2- في حالة الاعتراض : تتجلى في الشكل : (2).¹

الشكل: (2)



ثانيا - آليات الإعتراض:

ينجم عن حالة الادعاء ردود أفعال لدى المتلقي، إما لقبول أو الرفض والمخالفة. فالمنظرة عادة ما تكون من النوع الثاني. فالاعتراض من لوازم الادعاء ودليل على الفعالية الحجاجية بين الطرفين، ويدل خاصة على أن الفهم الجيد قد حصل. وما يميز الاعتراض عن الادعاء أن المعترض لا يكون فيه حرا في بناء خطابه أو استدلالاته، بل تتمثل وظيفته لدرجة الأولى في تفنيد حجج المدعي. مما يجعله مقيدا.

¹-ينظر المرجع السابق، ص 125.

فلاعتراض كما يقول "طه عبد الرحمن": فعل - استجابي- لا ابتدائي - حيث أن المعروض عليه يصدر قوله كرد فعل على قول العارض.

- إدري - لا إقبالي - فهو لاحق لقول العارض ويتجه أثره إلى ما قبله .

- تشكيكي - حيث يطالب المعتز خصمه لتدليل على دعواه أو إبطالها.

- سجالي - لا وصفي - لأن النفي الاعتراضي هو ادعاء بمنازعة قول العارض

بعكس النفي الوصفي الذي يكتفي عطاء النسبة الحكمية بين الموضوع والمحمول.¹

وعليه فإن المعتز حاول من خلال خطابه خلق نماذج من الحجج المضادة للنماذج المؤسسة من قبل المدعي وحاول إكسابها فعالية أكثر، حيث يفقد من خلالها النموذج الأصلي قيمته وفعالته. فأجمع سلاح يمكن أن يرد المعتز على ادعاءات المدعي هو السلاح الذي هوجم به.

ومن حق المعتز أن يوجه ثلاثة أصناف من الاعتراضات على دعوى المدعي:

1 - الاعتراض على اللفظ في حالة تعدد معانيه، أو غرابته، فيطالب المعتز من المدعي التفسير والتوضيح .

2- الاعتراض على صحة نقل الدعوى، في حالة ما إذا اعتمد المدعي في استشهاده على النقل (من نص مكتوب أو مروي).

3 - الاعتراض على مضمون الدعوى: ويكون حدى طريقتين:

- إما لاستناد إلى دليل، ويشمل أصنافاً ثة: "المنع" و"النقض" و"المعارضة".

- أو بعدم الاستناد إلى دليل ويسمى ب"المنع".²

بدأ المعتز اعترضه بتوظيف إستراتيجية إمتاعية هدفها الإقناع وهذه الإستراتيجية هي إستراتيجية التلاعب العاطفي المتعلقة لمتلقين أو المستمعين: الإيثوس بتعبير أرسطو، سواء تعلق الأمر لمقصودين أو غير المقصودين لخطاب .

- حيث بدأ قصيدته لنسيب، على طريقة شعراء الجاهلية، لاستمالة الجمهور وذلك "لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطبع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، وإن ذلك استدراج إلى ما بعده"³

- ينظر ، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 43.¹

- ينظر ، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 78-79.²

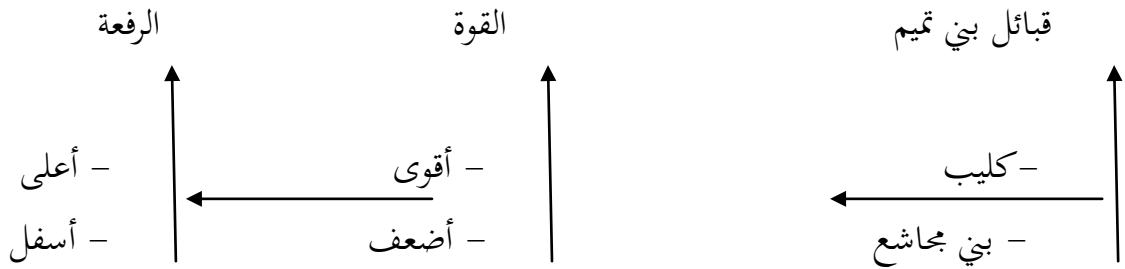
- ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 ، ص 364.³

بعدها شر في غرضه وهو الهجاء أو لأصح "النقض" بتفنيد أدلة المدعي وادعاء دعوى أخرى تساويها قيمة وتناقضها معنى، معتمدا في ذلك على الحجج السلطوية والحجج المشتركة، فهو شاعر وهذا يعني أنه يمتلك كفاءة لغوية تضاهي كفاءة خصمه وإلى جانب امتلاكه الكفاءة فهو أيضا يمتلك معرفة تمكنه من الدفاع عن قضيته بنفس حجج المدعي. فإذا كان الفرزدق قد أشار إلى بعض الشعراء الذين يفتخر بهم في الشاعرية أو إلى بعض المعارك التي فازت بها قبيلته ليتباهى بها أمام خصمه فإن جريرا أشار إلى الشعراء أنفسهم الذين افتخر بهم الفرزدق ليكونوا مصدر هجاء، كإشارته إلى المهلهل والمرقش الذين لا يعتبر شعرهم من الشعر الجيد، ولا قالوا الكثير منه، إلى جانب إشارته إلى بعض المعارك التي هزم فيها الخصم، فقلب فخر خصمه هجاء.

ينفي إذا جرير ادعاءات الفرزدق ستلزام قضية أخرى تناقض القضية الأولى فيقلب السلم الاجتماعي ليجعل مكانة قبيلته في أعلى السلم ومكانة خصمه أسفلها، فيقلب فخر خصمه هجاء وينسب الفخر الصحيح لنفسه حيث يقول:

إنّ الذي سمك السماء بنى لنا
عزا علاك فما له من منقل
ويقول أيضا:

إنيّ إلى جبلي تميم معقلي
ومحل بيتي في اليفاع الأطول
فيصبح السلم الحجاجي للقضية الجديدة بهذا الشكل:



وقد وظّف الشاعر الأدوات اللغوية نفسها من: أفعل تفضيل (أطول)، وأدوات توكيد (إن) وعبارات دالة على القوة والرفعة (جبل). وهاجيا في الوقت نفسه خصمه ومعتزضا على ادعاءاته، حيث يقول:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا
وبنى بناءك في الحضيض الأسفل¹

إذ تجلّى الاعتراض في هذا الملفوظ في رفض المعتزض إدعاءات المدعي - بتبديل قانون السلم الحجاجي - وهو عكس قانون الخفض -

- جرير ، الديوان ، ص 357.¹

إذ يترتب على نفي إحدى المراتب السلمية نفي دلالة الخطاب، فإذا كان يدل على مدلول معين فإن نقيضه يدل على نقيض المدلول، كما أن الدليل الأقوى يتحول في حالة النفي إلى دليل أضعف والعكس صحيح.¹

أخرى، الحضيض، الأسفل، التي يمكن أن تشكل قد عبر عن ذلك لألفاظ: في ذاتها سلما حجاجيا، فكلمة الحضيض أقوى دلالة على معنى المنزلة الحقيرة من كلمة أسفل وهذا يدل على تدني مكانة المدعي دون مكانة المعارض فالله سامك السماء ورافعها أخرى مجاشعا وأنزل مقامها في الدرك الأسفل، وكلمة أسفل تستلزم كلمة أخرى هي أعلى من خلال علاقة التناقض.

وتبعاً لذلك فإن المعارض ساير المدعي في ادعاءاته، حيث أوجب منه ذلك القيام بوظيفتين، تبعاً لوظائف المدعي:

- وظيفة الاعتراض.

- وظيفة الادعاء.

كما أنه قام بنوعين من الاعتراضات:

1 - اعتراض جلي على الادعاء الخفي، وذلك في مثل قوله:

أخرى الذي سمك السماء مجاشعا
وبنى بناءك في الحضيض الأسفل²
ويقول أيضا:

أبلغ بني وقبان أنّ حلومهم
حقت فلا يزنون حبة خردل³

2- اعتراض خفي على الادعاء الجلي: وهو معنى مضمّر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي السابق وهو: بيتي أعلى من بيتك.

والادعاء، أيضا، في حقيقته ادعاءان:

1 - ادعاء جلي على الاعتراض الخفي: وذلك في مثل قوله إنّ الذي السماء بني لنا عزا علاك فما له من منقل⁴

- ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، ص 106.¹

- جرير، الديوان، ص 358.²

- جرير، الديوان، ص 395.³

- م. ن.، ص. ن.⁴

ونشير هنا إلى المدعي الثاني (جرير) استند في ادعاءاته إلى نفس سند هم بقول أعلى من عزّ فالله سامك السماء جعل لهم عز ه ،) المدعي الأول (الفرزدق (علاك)، غير أن هذه الحجّة تفوق الحجّة الأولى قوة لأن كلمة "علاك" منوأطول. و الناحية الدلالية أقوى من دلالة الكلمات أعز تعود الكاف هنا على الفرزدق، وأن ما بناه لا مرد له لذلك لزم عن ذلك أيضا، الثبات والاستمرار. وهي بنيات أفرزتها السياقات الخارجية كالمعتقدات الدينية والإيمان لجزيرة، فهي تعتبر من القيم المشتركة بينهما. فبالاستدلال المنطقي يمكن تجسيد هذه الصورة كما يلي:

م1: إن الذي سمك السماء بني لنا عزّا أعلى من عزّك

م2: ما بناه المليك ليس له منقل.

ن : إن عز أعلى وليس له منقل .

2- ادعاء خفي على الاعتراض الجلي: وهو معنى مضمّر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي السابق وهو: بيتي أحسن من بيتك.

تنقسم الذات المعترضة في الحالات السابقة إلى أربع ذوات: ذات معترضة جلية، ذات معترضة خفية، ذات مدعية جلية، ذات مدعية خفية.

من الملاحظ من خلال الاعتراضات السابقة أن جريرا لم يعترض لا على ألفاظ الدعوى ولا على صحة نقل الأدلة المستشهد بها ، وإنما ركّز في اعتراضاته على مضمونها مستندا في ذلك على عدة سندات لتقوية الاعتراض .

يتشابه السند والدليل في أن كليهما "يفيد معنى « الطريق الموصل » إلى ملفوظ أو معقول¹.

أما الملفوظ الذي يدرك لسند فهو المتن ، أما المعقول فهو نوعان :

- نوع التقوية: ويمثل الأقوال التي يمكنها أن تقوي الاعتراض دون أن تلعب دور الدليل.

- نوع التأسيس: وهو مجموعة من الاعتبارات التي يتطلبها الدليل لإظهار وجه استقامته .

ويستند المعترض على النوع الأول من السندات وهو نوع التقوية ويظهر ذلك من خال ما تي :

يقول جرير :

أعددتُ للشُعراء سَمًا قَعًا فسقيتُ آخرهم بكأس الأول²

-طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص 134 .¹

-جرير ، الديوان ، ص 357 .²

فهذا القول جاء ردا على افتخار الفرزدق لشعراء الذين سبقوه، الفحول منهم وغير الفحول بهجاء يشمل الشعراء قاطبة نه سيسقي الآخر بكأس الأول. وقصد جرير لكأس هنا "القصيد" و لسم "الهجاء" بقوله "أعددت للشعراء سما" قساوة هجائه وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبه شعره لسم ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به .

والملاحظ من خلال هذا الاعتراض أن جريرا ركز على مسألة "الملكة الشعرية" في الرد على الفرزدق لدرجة الأولى ، وذلك يعود إلى كونهما متساويين فيها في حين أنه لم يركز ، أو لأحرى لم يبدأ، لتفوق الاجتماعي ، لأنه أدنى منه منزلة¹

أما قوله :

أحلامنا تزنُ الجبال رزانةً ويفوقُ جاهلنا فعال الجهل

فهو رد على قول الفرزدق:

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنّا إذا ما نجهل

مدعيا فيه أنهم إذا روا وهاجوا في الحروب تفوقوا على كل من ر أمامهم .

من سندات هذا الاعتراض أيضا:

- السند الجوازي: وصيغته:

إني لا أسلم لك هذه الدعوى لم لا يكون كذا ؟

ومن أمثله في الخطاب قول جرير :

حسب الفرزدق أن تسب مجاشع ويعدّ شعر مرقش ومهلhel

وهو نقض لافتخار الفرزدق لشعراء الذين ورث عنهم الشعر وعدّ منهم المرقش والمهلhel قبيلته

حيث يرى جرير أنه يكفي الفرزدق إهانة أو تسب قبيلته أن يعدّ المرقش والمهلhel منهم.

فالمهلhel معروف عنه اختلاف شعره واضطرابه وسمي لمهلhel لهلهلة شعره كهلهلة الثوب. أما المرقش

(الأكبر) فما روي عن شعره الكثير، لذلك لم يذكرهم ابن سلام الجمحي في طبقاته. فتكون صيغة

هذا المنع بهذا الشكل :

إني لا أسلم لك دعوى تفوقك فلم لا يكون ذلك دليلا

-ينظر مكلي شامة ، الحجاج اللغوي في النقائض ص 133.1

في الشعر لوارثتك له على أنك لست لشاعر الفحل ←

عن المهلهل والمرقش

- السند الحل : وصيغته:

يصح ما ذكرت لو كان الأمر كذا.¹

ومن أمثله في الخطاب قول جرير:

وامدح سراة بني فقيم إنهم قتلوا أ ك و ره لم يقتل²

أعيتك مآثرة القيون مجاشع فانظر لعلك تدعي من هشل³

وهو نقض لافتخار الفرزدق ببني فقيم وبني هشل، فيحق للفرزدق أن يفتخر ببني هشل لو لم يقتلوا

أ ه، وبني هشل لو كان ينتسب إليهم، فهذا سند على نقيض الدعوى، حيث عاب جرير على

الفرزدق افتخاره هذا. فتكون صيغة المنع بهذا الشكل:

يصح لك أن تفتخر ببني فقيم ← لو ← لم يقتلوا أ ك، كما كم لم تتأروا له (حيث قتله ذكوان

من بني فقيم وأمه من بني يربوع.

يصح لك أن تفتخر ببني هشل لو ← أنك ← تنتسب إليهم ولست من مجاشع.

- سند قطعي: وصيغته:

كيف ذلك وإلا كان الأمر كذا؟⁴

ومن أمثله قول جرير:

وبرحرحان تخضخضت أصلا وكم وفرزعتم فرع البطان العزل⁵

وهو نقض لافتخار الفرزدق بقوتهم وشجاعتهم في الحروب. فهنا يجيل جرير على (يوم ررحان)،

وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر ومعه أفناء عامر وبين بني دارم ومعهم الحارث بن ظالم⁶

فكانت الهزيمة فيها على بني دارم . فتكون صيغة هذا المنع:

-ينظر : طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، ص 80 .¹

-جرير، الديوان ، ص 358 .²

-م ، ن، ص 357.³

-طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 80 .⁴

-جرير ، الديوان ، ص 359 .⁵

-ينظر : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق ، هامش ص 353 .⁶

كيف تدعون القوة والشجاعة، لو كان الأمر كذلك لانتصرتم في يوم رحرحان. نستنتج مما سبق أن العلاقة الاستدلالية علاقة أساس في النقائص، وهي التي تجعل الخطاب يتكوثر بتوليد حجة من حجة أخرى، كما نسجل أيضا ارتقاء في الذوات، حيث ترتقي من كونها ذوات تواصلية إلى ذوات حجاجية (مدعية ، ومعتزضة). كما نلاحظ أن الحركة الاستدلالية عند المتخاطبين مختلفة، فكل طرف منهما سار في خطابه مسارا خاصا وفقا للقدرات الشعرية لكل منهما، فالأول مولع لفخر فباشر فيه، والثاني يجيد النسب فبدأ به.

3-الوسائل البلاغية في الحجاج :

إن هذا الجزء جاء مقتضبا سواء من حيث الشواهد أو من حيث التدليل على دور المجاز في عملية الحجاج. فقد تناولت الاستعارة والتشبيه دون بقية الوسائل البلاغية من حذف و التفتات وتقديم و خير ومبالغة ومقابلة وطباق وجناس. فالانتقال من ضمير إلى آخر ومن زمن إلى زمن آخر له فعالية في عملية التأثير والإقناع، وكذلك تقديم خبر على مبتدأ أو مفعول على فاعل أو مبالغة وهي كثيرة في النصين تلعب دورا كبيرا في عملية التأثير في المتلقي. كلاهما لغ في النيل من صاحبه وخرج عن الصدق إلى الكذب. وكذلك المقابلة شيء وارد في المناظرة، يقول الفرزدق:

فاللؤم يمنع منكم أن تحتبوا والعز يمنع جبوتي لا تحلل

ابن المراغة أين خالك؟ إنني خالي حبيش ذو الفعال الأفضل

ويقول جرير:

إني بنى لي في المكارم أولي ونفخت كيرك في الزمان الأول

والمقابلة وسيلة مؤثرة لأنها تقابل بين وضعين أو صفتين فتزيد الفرق وضوحا وتكشف عن المفارقة بين مكانة الفرزدق ومكانة جرير. وقد كان حديث الباحثة عن الاستعارة مقتضبا لأنها وقفت عند الاستعارة المكنية من بيت الفرزدق الذي ذكره سابقا (فاللؤم يمنع منكم.. والعز يمنع ..) فاللؤم والعز معنون وليس من شأنهما المنع الذي هو من طبيعة الإنسان. وعلى الرغم من وجود مباينة بين الإنسان وهتين الصفتين فإن المدعي يريد أن يطابق بين اللؤم والإنسان في حق الخصم ، ويطابق بين العز والإنسان في حق المدعي. ولكن أين بقية الاستعارات في نص الفرزدق ونص جرير ؟ فهذا جرير يقول:

ولقد تبين في وجوه مجاشع لؤم يثور ضبابه لا ينجلي

فالاستعارة في (لؤم يثور ضبابه)، وفي قوله (بني لنا عزا علاك) والكناية في قول الفرزدق¹:
فادفع بكفك إن أردت بناء ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل
وهذا للدلالة على قوة بناء بيت الفرزدق الذي يشبه جبلا لا يتحلل من مكانه. وهناك استعارات
وكنا ت أخرى كان ينبغي للباحثة أن تقف على بعضها لبيان دورها في المحاجة ..
أما لنسبة إلى التشبيه فقد ذكرت أيا لكل من جرير والفرزدق، إذ استعمل المتخاطبان تشبيهات
حسنة وأخرى سيئة. فالحسن يستعمل في الفخر والسيء يستعمل في الهجاء. ومن التشبيهات السيئة
قول جرير:

ودع البراحم إن شربك فيهم مر مذاقته كطعم الخنظل
لا تذكروا حلل الملوك فإنكم بعد الرُّبِير كحائض لم تغسل
والتشبيه هنا قائم على أركانه الأربع المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.
وأما التشبيهات الحسنة فمنها قول الفرزدق :

يلحون بيت مجاشع فإذا مشوا برزوا كأنهم الجبال المثل
وإذا الرئع جاءني دفلعها موجا كأنهم الجراد المثل

وهنا أيضا يقوم التشبيه على أداة التشبيه ووجه الشبه. وأداة التشبيه تعني أن المشبه يتفق مع المشبه به
في هذه الصفة أو تلك دون مطابقة. ويبدو أن الباحثة ركزت على نص الفرزدق أكثر من تركيزها
على نص جرير على الرغم من أن قصيدة جرير لا تتجاوز الستين إلا بقليل. لقد ركزت الباحثة على
آليات الادعاء والاعتراض أولا ثم وقفت على بعض الوسائل البلاغية في عملية المحاجة، وهذا فصل
للحجاج عن البيان والبلاغة. فالدراسة التداولية الجديدة تجمع بين الحجاج والبلاغة، وبخاصة إذا كان
النص أدبيا كما هو مع النقائض. حقيقة أن هناك أيا تخلو من الفنية وتنزع إلى المباشرة والتقرير
ولكن لا تخرج عن أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة. ومن هنا فالوقوف على الصورة في النقائض من
خلال الاستعارة والتشبيه دون الكناية ودون الكشف عن المبالغة والمقابلة والتقديم والتأخير وغيرها
جعل نظرتها للبلاغة منقوصة. ولعل اعتمادها على المقولات النظرية حال دون إحساسها بعلاقة
المنطق العقلي لمنطق الشعري فجاءت الدراسة عقلية في الأقسام الأولى ولم تضع للبلاغة إلا قسما
ضعيفا لا يبين العلاقة بين الأدوات المنطقية والنحوية والبلاغية في صناعة الحجاج الشعري².

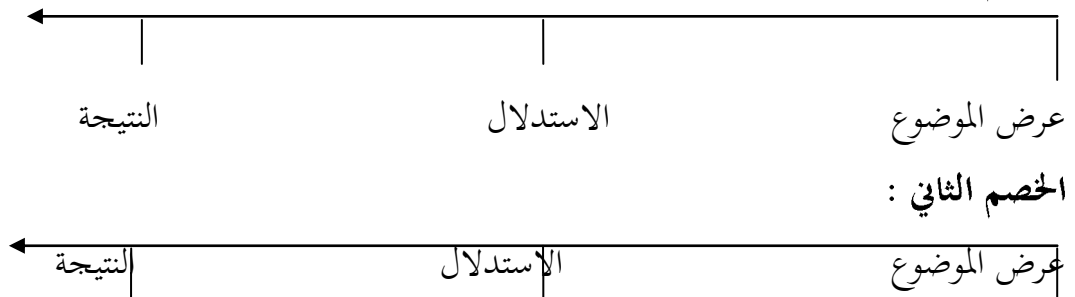
¹- فاتح علاق، في تحليل الخطاب الشعري دراسة، ص186.

²- فاتح علاق، في تحليل الخطاب الشعري دراسة، ص187-188.

فارتقتني حين كف الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرّمة البالي لقد قدمت الباحثة قراءة لنماذج من الشعر العربي القديم واقفة عند بنية الحجاج وأساليبه وبذلك كشفت الغطاء عن معاني ودلالات ظلت غائبة. فهي لم تقف عند الأدلة والحجج في ذاتها ولكنها اهتمت أيضا بطريقة نسجها وتشكيلها في أسلوب جذاب كان لها ثيره في المتلقي.

فالإقناع من هنا لا يعود إلى قوة الحجة في ذاتها ولكن في ترتيب الأفكار وسوقها بطريقة فنية جمالية مؤثرة. فهي ثرت لبلاغيين الجدد أمثال بيرلمان وتيتكاه في ربطهما للحجة لبلاغة، ومن ثمة استطاعت أن تقدم لنا دراسة تتم عن وعي وفهم للنص الشعري تمثل في استنباط حججه وروابطه وأساليبه وعلى الذوق أيضا في اختيار النصوص وتحليلها وسبر أغوارها. من خلال التحليل التداولي للخطاب الشعري التي مثلتها الدراسات السابقة يمكن الوصول إلى جملة نتائج أهمها ميل الدراسات إلى ظاهرة الحجاج أكثر من الظواهر الأخرى كالسياق والأفعال الكلامية وقلة الدراسات التداولية الشاملة التي تخص النص الشعري. كما نلاحظ في الدراسات التداولية بعامة ندرة تناول الجانب الصوتي والإيقاعي تداوليا مع العلم أن الإيقاع الداخلي والخارجي يمكن أن يلعب دورا حججيا، فالتشاكل الصوتي والصرفي والتركيب من شأنه أن يقوم بوظيفة حججية إلى جانب أفعال الكلام والصور الفنية. كما لاحظنا اقتصار هذه الدراسات على الصور التشبيهية والاستعارية مع إهمال المقابلة والمبالغة والتورية إضافة إلى صور البديع المختلفة التي يمكن توظيفها حججيا في النص الشعري. وقد لاحظنا أن بعض الدراسات التداولية تتحول إلى دراسات بلاغية. ولا يمكن للدراسة التداولية الاستغناء عن الأسلوبية والبنوية والسيمائية في تناولها للنص الشعري¹.

الخصم الأول :



- فاتح علاق، في تحليل الخطاب الشعري ، ص 196-197.¹

الخاتمة

استنتاجات :

بعد هذه الدراسة الموسعة التي تناولت السلم الحجاجي وقوانين التخاطب في شعر النقائض، يمكن التوصل إلى جملة من الاستنتاجات التي تسلط الضوء على البنية العميقة لهذا الفن الشعري، ودوره في تجليات الخطاب الحجاجي ضمن السياقين الثقافي واللغوي في العصر الأموي .

- فاعلية السلم الحجاجي : أظهرت الدراسة أن شعراء النقائض - كحريز والفردق والأخطل قد استثمروا آليات السلم الحجاجي بشكل واعٍ، بدءاً من الحجج ذات الطابع الأخلاقي والقبلي، وصولاً إلى الحجج التهكمية والسخرية، مما يدل على إدراك عميق لبنية الحجاج وأثره في إقناع المتلقي وتثبيت التفوق الشعري .

- تجليات قوانين التخاطب : برز التوظيف المكثف لقوانين التخاطب، ولا سيما قانون الكم، وقانون الكيف، والملاءمة، والطريقة، حيث جاءت هذه القوانين حاضرة في بناء الخطاب الشعري، إما من خلال احترامها لتعزيز المصدقية، أو خرقها لخلق مفارقة خطابية تُعزز البعد الجمالي والسجالي في النص .

- الحجاج بوصفه أداة هيمنة : كشفت الدراسة أن شعر النقائض لم يكن مجرد تقابل شعري، بل خطاب هيمنة وصراع رمزي يعكس التنافس القبلي والسياسي والثقافي. فالحجاج في هذه النصوص يُوظف لتثبيت صورة ذاتية متفوقة، وإقصاء الآخر شعراً وثقافياً.

- التواصل الشعري كأداء تداولي : عكست النقائض بنية تداولية متكاملة، حيث تنامي الخطاب بين الشاعر والمتلقي ضمن شبكة من المقاصد، والردود، والاستفزازات، مما يجعل من شعر النقائض نموذجاً حياً لفهم العلاقة بين اللغة، والسياق، والسلطة .

- تداخل البلاغة القديمة مع النظريات التداولية الحديثة : أبرزت الدراسة أن الكثير من



فهرس.docx

أساليب الحجاج والتخاطب في شعر النقائض تتقاطع مع مفاهيم ال بلاغة

العربية القديمة (كالمقابلة والموازنة والتفنن في الوصف)، وتجد تفسيراً أعمق من خلال النظريات التداولية والحجاجية الحديثة (بيريلمان، غرايس، وغيرهما)

- دعوة إلى دراسة الحجاج الشعري في أجناس أخرى من الشعر العربي، مثل الرء أو المديح، ومقارنته مع النقائص.
- اقتراح بتحليل الخطاب الشعري في ضوء نظرت الحجاج الجديدة، مثل نظرية الخطاب الحوارى لباختين أو نظرية التداوليات الحجاجية لدوكرو.

الملاحق

1- هو جرير بن عطية الخطفي ، والخطفي لقب ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى أ حزره . ولد بقرية أثيفية إحدى قرى الوشم من أرض اليمامة حوالي سنة 30 للهجرة من أبوين ينتسبان إلى قبيلة كليب ، ولد جرير في بيئة بدوية يتوارث أبنائها الشعر كأسرة زهير بن أبي سلمى ، وقضى صباه وشبابه يرعى غنم أبيه في وادي المروت ، اشتهر لهجاء ، وقد بلغ ريعان شبابه حينما التحم لهجاء مع الفرزدق شاعر تميم الكبير فاستمرا يتهايجان قرابة أربعين عاما .

وقال ابن دأب : الفرزدق أشعرُ عامةٍ وجرير أشعرُ خاصّة . توفي جرير سنة 114 هـ في إحدى قرى اليمامة ، وحلّف شعرا في المدح والرّاء غير أنّ الهجاء كان له القسط الأكبر من ديوانه .

2- اسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن جية بن عقال بن محمد بن سفيان من مجاشع بن دارم بن مالك (بن حنظلة بن مالك) بن زيد بن مناة بن تميم ، والفرزدق لقب له حمله من وجهه المتجهّم ، شاعر تميمي كان جدّه صعصعة فضلا عن كرمه ممّن يشترّون الفتيات اللواتي كان أهلهم يهمن بوأدهنّ، والفرزدق يفخر بهذه المكرمة عن جدّه ، وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميين ، وهو المقدّم في الطبقة الأولى منهم ، وكان جرير خصمه في الهجاء، إلا أنّ كرم أهله وغاناهم جعله يتمسك بمآثر قومهم وكرمهم المسرف ، عُرف الفرزدق بفسقه وشربه للخمر التي حرّمها الإسلام ، وأيضا بكل ما ينطوي في هذه الأخلاق من عصبيّة وغلظة ، توفي سنة 114 للهجرة .

3- هو غياث بن عوث بن الصلّ بن الطارقة ، يكنى أ مالك لقب لأخطل لأنّه هجا رجلا من قومه، فقال له : غلام إنك لأخطل ، فغلبت عليه .

والأخطل: السّفيه، فغلبت عليه وُلد الأخطل في دية الحيرة حوالي سنة 20 للهجرة ، وكانت أمّه مثل أبيه نصرانية وهي من قبيلة إدد ، ومن ثم نشأ نصرانيا، وظلّ طيلة حياته على دينه ، فلم يدخل في الإسلام . ظهرت موهبته الشعريّة مبكرا ، واقتزن بها سفه شديد ، فكان يُكثر من هجاء الناس ، مدح الأخطل أمراء بني أميّة ، وهم يغدقون عليه ، وفي ديوانه مدائح مختلفة ليزيد وأخيه عبد ولابنه خالد ، وعلى نحو ما كان الأخطل يُجيد المديح كان يجيد نعت الخمر ودّها وندامها ، بل قد شغف حبّا بها ، ليقرّ أنّها السبب في منعه من إسلامه ، وقد ظلّ يهاجي جريرا إلى أن توفي سنة 92 للهجرة .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : باللغة العربية

القرآن الكريم .

- 1- أحمد السيد الصاوي ، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، د.ط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .
- 2- أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، د.ط ، دار الاتحاد العربي للطباعة القاهرة ، 1966 .
- 3- أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي ، د . ط ، دار الأمان ، الرباط ، 1996 .
- 4- أرسطو طاليس ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، د . ط . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1959 .
- 5- آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم ، ترجمة : سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2003 .
- 6- إحسان عباس ن تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ط2 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان 1993 .
- 7- إيليا الحاوي ، فن الهجاء وتطوره عند العرب ، د.ط ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .
- 8- بدوي طبانة ، قضايا النقد الادبي ، د . ط ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، 1971 .
- 9- جان سيرفوني ، الملفوظية ، ترجمة قاسم المقداد ، د . ط ، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ، 1998 .
- 10- حذيفة بن بدر بن سلمة ، جرير ، الديوان ، د . ط ، دار بيروت ، بيروت ، 1983
- 11- حسين الصديق ، المناظرة في الأدب العربي - الإسلامي ، ط1 ، الشركة المصرية العالمية لولوجمان ، مصر ، 2000 .
- 12- أبوحيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح وضبط وشرح : أحمد أمين وأحمد زين ، د.ط ، ج 1 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .

- 13- أبو الحسن حازم ، القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 .
- 14- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تقديم وتحقيق : صلاح الدين الهواري وهدى عودة ، ط 1، ج 1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1996 .
- 15- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، ط2 ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، 2001 .
- 16- السعد مسعود ، بن عمر ، التفتازاني ، شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام حققه : كلود سلامة ، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1974 .
- 17- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب ، تحقيق وتصحيح لجنة من الجامعيين ، د .ط، ج1، مؤسسة المعارف ، بيروت ، د.ت .
- 18- شاكر الفحام ، الفرزدق ، د.ط، دار الفكر ، د.ب، د.ت .
- 19- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي -العصر الإسلامي ، ط14، دار المعارف القاهرة ، د.ت .
- 20- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، د.ط، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 .
- 21- طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط2، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2005 .
- 22- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ط 2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، 2000 .
- 23- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، 1998 .
- 24- عباس حسن ن النحو الوافي ، ط6، ج1، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 .
- 25- عباس حسن ن النحو الوافي ، ط10، ج3، دار المعارف ، القاهرة ، 1992 .
- 26- عبد الجليل ناظم ، البلاغة والسلطة في المغرب ، ط 1 ، دار توبقال للنشر ، 2002 .
- 27- عبد الرحمن ، ابن خلدون ، المقدمة ، ط3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، 1967 .

- 28- عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، ط1، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 .
- 29- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، د.ط، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985.
- 30- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1999.
- 31- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه : محمد التونجي ، ط1، دارالكتاب العربي ، بيروت ، 2005.
- 32- عبد الله العشي ، زحام الخطابات ، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة ، د.ط ، دار الأمل ، تيزي وزو ، 2005.
- 33- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ط1، دارالكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، 2004.
- 34- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ، ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ضبط وتصحيح : عزالدين الدمشقي ، د.ط، دار القلم العربي ، سوريا ، د.ت.
- 35- أبو العباس شمس الدين أحمد ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان حققه : إسماعيل عباس ، د . ط، المجلد الأول ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.
- 36- أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، الروزي ، شرح المعلقات السبع ، د.ط، دار الجيل بيروت ، د.ت.
- 37- أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ديوان شرح نقائص جرير والفرزدق ، شرح وتعليق : محمد التونجي ، د.ط، ج1، دار الجيل ، بيروت ، 2002.
- 38- أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، تقديم وتبويب وشرح : علي أبو ملحم ، ط2، المجلد الأول ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1992.
- 39- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، شرح وضبط وتصحيح : أحمد أمين وزملاؤه ، د.ط، ج5، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983.
- 40- فاتح علاق ، في تحليل الخطاب الشعري (دراسة) دار التنوير الجزائر ، مطبعة ليبيك ، 2018.

- 42- فان ديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، ط1، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، 2001.
- 43- أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط2، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .
- 44- أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، تحقيق وإشراف : لجنة من الأدباء ، ط5، المجلد الثامن ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981.
- 45- أبو القاسم الحسن بن بشر ، الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط2 ، ج1، دار المعارف ، مصر ، 1972.
- 46- محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن ، قواعد ، أساليبه ، معطياته ، د.ط، ج1، دار المنصوري ، قسنطينة ، د.ت.
- 47- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، د.ط، أفريقيا الشرق ، المغرب 2005.
- 48- محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاءون - في صدر الإسلام - د.ط، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971.
- 49- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ط1، دار الطليعة ، بيروت ، 2005.
- 50- أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : أمين نسيب ، ط1، دار الجليل بيروت ، 1998.

ثانيا بالفرنسية :

51- Emile Benveniste - problème de linguistique générale édition

Gallimard 1966-p 251-287.

52- Philippe Breton **L'argumentation** dans la communication -p 17.

53- Ducrot .Oswald *Les échelles argumentatives les éditions de minuit

1981 p 18.

فهرس المحتويات

فهرس المحتوت

الصفحة	العنوان
	شكر
	إهداء
أ-ز	مقدمة
15-9	مدخل
9	مفهوم السلم الحجاجي
11-10	مفهوم الحجاج
15-11	مفهوم النقائض
55-16	الفصل الأول: النظريات الحجاجية التداولية والمقام التخاطبي في النقائض
	المبحث الأول : النظرت الحجاجية التداولية
16	المطلب (1) نظرية السلام الحجاجية
17	المطلب : (2) قوانين السلم الحجاجي
18-17	المطلب (3) العوامل والروابط الحجاجية-ضوابط التداول الحجاجي
56-21	المبحث الثاني: المقام التخاطبي في النقائض وإستراتيجيات الخطاب
29-21	المطلب (1) الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الأول والخطاب الثاني
42-29	المطلب (2) إستراتيجية البناء (أ- الاستراتيجية التضامنية - ب - الاستراتيجية التوجيهية)
55-42	المطلب (3) -استراتيجية الهدم
82-56	الفصل الثاني: آليات بناء السلم الحجاجي وتجليات العلاقة الاستدلالية في النقائض
71-56	المطلب (1) آليات الإدعاء
78-71	المطلب (2) آليات الاعتراض
82-78	المطلب (3) الوسائل البلاغية ودورها في الحجاج
83-82	خاتمة
85	ملاحق
89-87	قائمة المصادر و المراجع

92-90	ملخص
94-93	فهرس المحتوت

الملخص:

تتناول هذه الرسالة دراسة خطابية تداولية لظاهرة **النقائض** في الشعر العربي، من خلال التركيز على **السلم الحجاجي وقوانين التخاطب** وقد تم اختيار النقائض بوصفها خطأً جدلياً شعراً غنياً لاستراتيجيات الحجاجية، لما فيها من صراع لغوي بين شعراء يتبادلون الهجاء والمدح والفخر، مثل جرير والفرزدق والأخطل. وتتجلى أهداف الدراسة فيما يلي :

- الكشف عن آليات الحجاج في شعر النقائض.
- دراسة كيفية التدرج في الحجاج من حيث القوة والضعف (السلم الحجاجي)
- تحليل مدى الالتزام أو خرق قوانين التخاطب عند بناء النقائض.
- إبراز التفاعل التداولي والوظيفة الإقناعية في هذا اللون من الشعر.

كلمات مفتاحية :

السلم الحجاجي ، قوانين التخاطب ، شعر النقائض ، من خلال النقيضتين : إنّ الذي سمك السماء وسم قع .

English Translation:**Abstract**

This study investigates the discursive and pragmatic dimensions of the *naqā'id* phenomenon in Arabic poetry by focusing on the Argumentative Scale and the Conversational Maxims. The *naqā'id* genre was chosen for its inherently dialogical and polemical nature, rich in argumentative and persuasive strategies, as exemplified by the poetic exchanges of satire, praise, and pride among poets such as Jarīr, al-Farazdaq, and al-Akhtal. The objectives of the study are to:

- Identify the mechanisms of argumentation in *naqā'id* poetry,
- Analyze the gradation of argumentative strength through the argumentative scale,
- Examine the adherence to or violation of conversational maxims in constructing poetic discourse,
- Highlight the pragmatic interaction and persuasive function of this poetic form.

(Keywords):

The argumentative ladder, The rules of discourse, In the poetry of antitheses, Through the two antitheses

Traduction française :**Résumé**

Cette étude explore les dimensions discursives et pragmatiques du phénomène des *naqā'id* dans la poésie arabe, en mettant l'accent sur l'échelle argumentative (*Argumentative Scale*) et les maximes conversationnelles (*Conversational Maxim's*). Le choix s'est porté sur les *naqā'id* en raison de leur nature dialogique et polémique, riches en stratégies argumentatives et persuasives, comme le montrent les échanges poétiques de satire, d'éloge et d'orgueil entre des poètes tels que Jarīr, al-Farazdaq et al-Akhtal.

Les objectifs de l'étude sont les suivants :

- Identifier les mécanismes de l'argumentation dans la poésie des *naqā'id*,
- Analyser la progression de la force argumentative à travers l'échelle argumentative,

Étudier le respect ou la transgression des maximes conversationnelles dans la construction du discours poétique,

Mettre en lumière l'interaction pragmatique et la fonction persuasive de cette forme poétique.

(Mots-clés) :

L'échelle argumentative, Les règles de la communication,

Dans la poésie des antithèses, À travers les deux antithèses.